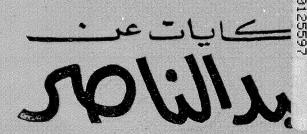
مد الله ام







ثناية وعنوم الستاشية لكل شعب تصدر عن مؤسسسسة دان وه مت ____

الشعب

الصحافة والطباعة والنشار منيس بحلس الأدارة ورئيس المريس وكتورهنسيين أبو المنسير

> مدیرعام انتصریو اسور زعسلولت مکرتیرعام انتریو شروت الشعسراوی

الإدارة ۱۳۰۰ شادع فلمبر الديث، الله هرة شاه ۱۳۵۱ م ۱۳ و ۱۳ - ۲۵۱۱ (۲۵۱۱ ما ۲۵۱۲) تنكس دوق ۱۳۵۱ (۲۵۱۲ ما







سَنْظل القاهرة .. دامُ اقلب العروبة والإسلام النابض.. تتبوأ مكاننها التاريخية والعضارية .. في عنا لم الفكر والثقافة والنشر!



🗆 الفلاف بريشة هية

عيدالله امسام

الهيئة العامة لكتبة الأسكندرية len of the Ainxandria Library (GOAL 3 60 Molling Williamine

الاهـــداء

الى أبناء جمال عبد الناصر ٠٠ المسلايين التى عاشت ثورة عبد الناصر ٠٠ وأحبته ٠٠٠ الملايين التى أحبها عبد الناصر ، ووهبها كل حياته ٠٠ فعاش من أجلها ، واستشهد في سبيلها ٠٠٠

مكاية هذا الكناب

فابنتى واحدة من الجيــل الذى اطلق عليــه عبد الناصر بحق ـ انه على موعد مع القدر . .

الجيل الذي عاش عبد الناصر ، وتعلم مجانا لأن عبد الناصر علمه ، ووجد علاجا ودواء ، في مستشفيات عبد الناصر ، واستخدم في كل حياته ما انتجته مصانع فتحها عبد الناصر ، وعرف الحياة سهلة لأن عبد الناصر ، أزال من أمامه كثيرا من الأشواك ، والصعاب ، والعقبات وفتح له مجالات واسعة للتقدم ، والنمو ، والتطلع ، ،

ابنتى تقرأ ، وتناقش ، وتتكلم ، وتعرف اشسياء اكبر منها ، ومن عمرها . . وهى تحب عبد الناصر ، كانت تستمع دائما الى خطبه . تعودت على صوته ، معلوماتها السياسية كلها من كلماته ، تعودت أن ترى صوره كل يوم على الشاشة الصسغيرة ، وفي كل الصحف . . ويوم فقدناه ، أصبحت تحتفظ بكل صورة تجدها له ، وبكل كتاب يصدر حاملا اسمه . . .

ابنتى تحب أن تقرأ عبد الناصر ، وأن تعرف عنه كل شيء ، وأن تناقش كل حياته ، وأن تسمع حكايات عنه ، عن مواقفه ، عن مصر الحديثة ، التى قادها الى طريق الكفاية والعدل ، عن

وعنسدما أصدرت كتابا عن عبد النساصر هو، « الناصرية » أهديتها أول نسخة تخرجها المطبعة منه . .

وفرحت بالهسدية ، ليس لأن الكتاب من تأليف أبيها ، ولكن لأنه أيضا ، بل وأولا عن جمسال عبد الناص ..

وبعد ايام اردت مناقشتها فيما قراته ، فوجدت انه يصعب عليها استيعاب الكثير مما جاء فيه من دقائق المواقف النظرية للقائد ، والمعلم . . .

وقررت أن أعكف على وضع هذا الكتاب عن عبد الناصر ليقرأه الجيل الجديد ، الذى تفتحت عيناه على الحياة في عهده . .

الجيل الذى سمع أو عاش حياة عبد الناصر ولم يعرف من قصة التأميم الا أنها كانت ردا على رفض الفرب لتمويل السد العالى . .

الجيل الذى سمع - أو عاش - قصة كسر احتكار السلاح ، ولم يعرف . . لماذا كسر هذا الاحتكان ولا كيف . .

الجيل الذى سمع أو عاش حياة عبد الناصر ولم يعرف كيف كان بسيطا فى بيته . . كيف تكونت فكرته السياسية وأصبح ثوريا لأول مرة ، والدوافع التي كانت وراءه . . .

هذا الجيل لابد أن يعرف ذلك كله ، وأن تصحح معلوماته حول هذه المواقف . ..

وايضا وقبله . . لا بد أن يعى هذه الحقائق الذين يعايشون السياسة ، ويهتمون بها ...

وهؤلاء قد أصبحوا ملايين بعد أن نقل عبد الناصر، السياسة من كواليس الصالونات المعطرة ، وحكم الطبقة الواحدة الى المواطنين العاديين والبسطاء ، اللدين عرفوا لأول مرة بفضل عبد الناصر ، أنهم يصنعون السياسة ، ويعيشونها واقعا كل يوم . . وأن السياسة لم تعد الخطب في الأمم المتحدة ، ولا المراوغات ، والأساليب الملتوية ، وأنما السياسة التي عاشها الناس هي حياة حرة ، كريمة . . وآمنة ، ومطمئنة ،

السياسة التى عبر عنها عبد النساصر بالنسبة لنفسه بأنها « نفسى أوظف الأولاد ، وأجوز البنات)) ووراء هذين المطلبين حياة كاملة للانسان الجديد تفطى جميع مطالبه أمنا ، وصحة ، وتعليما ، ومسكنا ، وتأمينا ، وفوق ذلك كله . . عدلا وحرية له ، ولوطنه . هذه هي السياسة التي عاش يناضل من اجلها جمال عبد الناصر ، وخاض لتحقيقها معارك ضارية ، وشرسة في الداخل والخارج . .

وكان نضال عبد الناصر الدائم ، والمتجدد ، يصنع حكايات . . بعضها عشناه فى وقته ، وما زال الكبار منا يروونه للصغار . . وبعضها ظل مختفيا وراء الكواليس . . فى انتظار الباحثين ، الذين ينقبون عنه ، وير فعون الستار عنه . .

من هذه الحكايات صنع نسيج هذا الكتاب .. ليقرأه الجيل الجديد ، وليصحح بعض المفاهيم عند الجيل القديم ، وليعطى اضواء لازمة للذين احبوا عبد الناصر عن الأحداث التي صنعها ، وكانت خلفياتها ، وحكاياتها مجهولة بالنسبة لهم ..

ولقد قصدت أن يطغى على الحكايات الجانب السياسى بالمعنى الواسع حتى نحتفظ لعبد الناصر بمجده الأول كزعيم سياسى غير وجه التاريخ فى عدد من المواقع على خريطة الكرة الارضية ، وترك علامات واضحة لفكره السياسى ، ولاسلوبه الثورى فى كثير من الدول ...

ان الكتب ، والمؤلفات التى صدرت _ والتى سوف تصدر _ عن جمال عبد النساصر كثيرة ، فهو كبطل تاريخى ، بعث أمة وأيقظ شعبا ، وهز وجدان العالم ، لا بد أن تكون حياته حافلة ، مليئة بالانجازات ، غنية بالجوانب التى يمكن أن يتناولها الدارسون والمؤلفون ، وخاصة الذين أحبوه ، وآمنوا به ، واقتربوا منه ، وعرفوه . .

والجماهير - وخاصة الجماهير العربية - تريد ان تعرف دائما الكثير عن عبد الناصر ، مواقفه ، وفكره ، تعطيها زادا الى الانطلاق لمزيد من التقدم ، وتكون ملهمة لها ، وباعثة على استمرارها في تحقيق مالها . . على الطريق الذي ارتضت أن تسير فيه خلف راية عبد الناصر الخفاقة ، والمخلصة . .

لقد كان مفكرا عميقا ، وزعيما أصيلا .. ومناضلا صلبا .. ومحبا لبلاده باخلاص .. ولكنه كان فوق هذا كله .. كان انسانا .. كان ابن مصر .. ابن طينها الأسمر ، ونيلها الخالد العريق .. ابن الريف المصرى الأصيل الذي عاش حياته كلها ووصل الى اقصى ما يتمناه بشر عندما تجمعت قلوب الملايين الذين يعرفونه والذين لا يعرفونه ، الذين يحبونه ، والذين يكرهونه .. قلوبهم تجمعت حوله .. وكلهم عاشوا في أمان لانه بينهم ..

کان عبد الناصر ، کل ذلك . . ولکنی کنت أحس دائما _ انه بالنسبة لی کان أکثر من ذلك و فوقه . . وهذا الکتاب لیس کتابی الأول عن عبد النساصر _ کما قلت _ فقد حاولت _ متسرعا _ بعد أن جفت الدموع أن أقوم بواجب رأیت أنه من المحتم علی أن أؤدیه نحو الرجل الذی احببته . . فأصدرت کتابی «الناصریة » تناولت فیه ما تصورت أنه یمکن أن یکون کافیصا لعرض الجوانب الأساسیة فی فکر جمال عبد الناصر حول الحریة ، والاشتراکیة ، والوحدة . . فان فکره _ الی جانب انجازاته _ هو الزاد الباقی ، اللی یجب أن نحرص علیه ، وننقیه ، ونضعه أمام الجماهیر التی أحبته ، و آمنت به . .

وكان كتابا سياسيا يخاطب الذين يهتمون بالفكر النظرى لعبد الناصر .. ويضعهم أماب باب البحث ، والتأمل ..

ولقد كنت احس _ وما زلت _ اننى لم أقم نحو عبد الناصر بالوفاء الذى يستحقه منى ومن غيرى من الكتاب الذين طالما تعودوا أن يعلنوا ايمانهم به وبفكره في حياته . . .

رايت أن أعاود الكتابة ، والتأليف عن عبد الناصر ، والا أكف عن هذه المحاولات ، حتى أصل الى نوع من الارضاء النفسى ، بأننى أديت واجبى نحو القائد ، والزعيم . . والانسان . .

عندما رأيت ذلك كانت امامى صورة ابنتى ، ومعها اللايين الذين أحبوا عبد الناصر ، والذين يجب أن توضع أمامهم مؤلفات متعددة حول حياة البطل الذي

عشقوه ، مؤلفات تضيف الى معلوماتهم ، وتجسان المامهم الصورة الحقيقية للرجل الذى عرفوه من خلال مواقفه ، والقضايا التى تعرض لها . والمعارك التى خاضها . .

وكان هذا الكتاب الذى يضم عددا من الحكايات بطلها وصانعها ، ومؤلفها الحقيقى ، هو جمال عبد الناصر ، وجهدى فيها فقط هو مجرد جمع المصادر ، والمراجع ، والاشتخاص الذين امكننى أن أعطى هذه الصورة من خلالهم . .

ولعلى أكون قد وفقت . .

ولكنها على كل حال محاولتي الثانية ، على طريق الوفاء لعبد الناصر ..

وأملى الا تكون الأخيرة

عيد الله امام

عبرانامين ودي في المورة

ليس صحيحا أن ثورة ٢٣ يوليو قامت بسبب النتائج التى اسفرت عنها حرب فلسطين ، وليس صحيحا كذلك أنها قامت بسبب الأسلحة الفاسدة التى داح ضحيتها جنود وضباط ، وأبعد من ذلك عن الصحة ما يقال أن السبب كان أزمة انتخابات نادى ضباط الجيش .

انما الأمر في رايي كان أبعد من هذا وأعمق أغوارا .

وأنا أحاول اليوم بعد كل ما مر بى من أحداث وبعد سنوات طويلة من بدء التفكير فى الثورة ، أن أعود بذاكرتى وأتعقب اليوم الأول الذى اكتشفت فيه بذورها فى نفسى .

ان هذا اليوم ابعد فى حياتى من أيام شهر نو فمبر ١٩٥١ أيام ابتداء أزمة نادى الضباط ، ففى ذلك الوقت كان تنظيم الضباط الأحرار قائما يباشر عمله ونشاطه .

وهذا اليوم _ فى حياتى ايضا _ ابعد من بدء فضيحة الأسلحة الفاسدة .. فقد كان تنظيم الضباط الاحرار موجودا قبلها ، وكانت منشوراتهم اول ندير بتلك المأساة ، وكان نشاطهم وراء الضجة التي قامت حول الأسلحة الفاسدة .

بل ان هذا اليوم في حياتي ابعد من يوم ١٦ مايو ١٩٤٨ ذلك اليوم الذي كان بداية حياتي في فلسطين ،

ثم أن هذا اليوم - اليوم الذي اكتشفت فيه بدور الثورة في نفسى - ابعد من حادث } فبراير ١٩٤٢ الذي كتبت بعده خطابا الى صديق قلت له فيه « ما العمل بعد أن وقعت الواقعة وقبلناها مستسلمين خاضعين خائفين ؟ » .

وكذلك فان هذا اليوم أبعد فى حياتى من الفوران الذى عشت فيه أيام كنت طالبا أمشى مع المظاهرات الهاتفة بعودة دستور ١٩٢٣ . وقد عاد الدستور بالفعل فى سنة ١٩٣٥ . وأيام كنت أسعى مع وفود الطلبة الى بيوت الزعماء نطلب منهم أن يتحدوا من أجل مصر ، وتألفت الجبهة الوطنية سنة ١٩٣٦ بالفعل على أثر هذه الجهود .

واذن فمتى كان ذلك اليوم الذى اكتشفت فيه بذور الثورة في أعماقي ؟

انه بعيد .

فاذا اضيف الى هذا كله ، ان تلك البدور لم تكن كامنة في اعماقى وحدى ، وانما وجدتها كذلك في اعماق كثيرين غيرى ، هم الآخرون بدورهم لا يستطيع الواحد منهم ان يتعقب بداية وجودها داخل كيانه . . لاتضح اذن ان هذه البدور ولدت في اعماقنا حين ولدنا . . وانها كانت املا مكبوتا خلقه في وجداننا جيل سبقنا .

وكثيرا ما سئلت . . متى أصبحت ثوريا لأول مرة ؟ . . وهو سؤال يستحيل الاجابة عليه ، فهذا الشعور أملته ظروف تكوينى وتنشئتى وغذاه شعور عام بالسخط والتحدى اجتاح كل أبتاء جيلى في المدارس والجامعات ، ثم انتقل الى القوات المسلحة .

اننى الابن الاكبر لأسرة مصرية من الطبقة المتوسطة الصغيرة ، وقد كان أبى موظفا صغيرا فى مصلحة البريد يبلغ مرتبه الشهرئ نحو عشرين جنيها ، وهو مرتب يكفى بصحوبة لسد ضرورات الحياة .ه:

وقد ولدت فى الاسكندرية ، لكن ذكرياتى الأولى تدور حول قرية الخطاطبة وهى قرية تقع بين القاهرة والاسكندرية ، حيث كان أبى يعمل وكيلا للبوسطة وكنا دائما أسرة سعيدة يحكمها أبى ولكن القوة الحافظة فيها كانت أمى التى كنت أنا واخوتى نتفانى في حبها .

واذكر اننى قد اعجبت فى طفولتى بعدد كبير من الأبطال ، لقد اعجبنى غاندى كثيرا ، وعندما كنت صبيا اتلقى دروس الديانة فى المدرسة استحوذ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على كل اعجابى وتقديرى ، فقد كان قائدا وزعيما كرس حياته لخدمة قومه وتحريرهم من ظلمة الجاهلية وضلالها . وعندما كنت طالبا فى المدرسة الابتدائية ساءنى أن أقرأ فى كتاب التاريخ أن نابليون يعتقد فى سياسة القوة والعنف التى أكرهها ولا أعترف بها . كذلك أيضا أتاتورك كان قاسيا ، خلوا من المبادىء والأخلاق ، فقد وقع بيده وثيقة اعدام أعز اصدقائه واقربهم الى قلبه . ولم يتأثر ال الثورات يجب أن تقوم على أساس من المسادىء والمنل العليا .

ومند عام ١٩٣٤ بدات اقرا الكثير عن مصطفى كامل . . قرات تاريخ حياته ومقالاته الوطنية الحماسية التى كانت تنشر فى الصحف ، ثم شرعت بعد ذلك فى قراءة مؤلفات الحكيم والدكتور طه حسين . . وطبيعى اننى كنت اهتم اهتماما خاصا بقراءة كل ما يتصل بتاريخ مصر منذ القرن التاسع عشر ، وبالاضافة الى كل هذا وذلك قرات مجموعة كبيرة من القصص والتراجم والاشعار ، كما كنت أجد متعة عند قراءة الكتب عن الثورة الفرنسية ، ولقد قرأت عدة مرات قصة شارل ديكنز المشهورة . قصة مدينتين ، ورأيت كيف صور الكاتب بشاعة القسوة وأعمال العنف والارهاب التى سادت فرنسا فى ذلك الوقت . . لقد علمتنى هذه القصسة

شيئًا .. أننا أذا شرعنا في القتل وأراقة الدماء ، فأنه سيكون من الصعب حقن الدماء .

وما زلت أذكر بوضوح أول صدام لى مع السلطة .. كان ذلك فى سنة ١٩٣٣ وكنت يومئد تلميدا فى الاسكندرية لم ابلغ بعسد الخامسة عشرة من عمرى وكنت أعبر ميدان المنشية فى الاسكندرية : حين وجدت اشتباكا بين مظاهرة لبعض النلاميد وبين قوات من البوليس ، ولم أتردد فى تقرير موقفى ، فقد انضممت على الفور الى المتظاهرين دون أن أعرف أى شىء عن السبب الذى كانوا يتظاهرون من أجله ، ولقد شعرت أننى فى غير حاجة الى سؤال .. لقد رأيت أفرادا من الجماهير فى صدام مع السلطة ، واتخلت موقفى دون تردد فى الجانب المادى للسلطة .

ولما كنت فى قسم البوليس وأخذوا يعالجون جراح راسى ، سالت عن سبب المظاهرة ، فعرفت أنها مظاهرة نظمتها جماعة مصر الفتاة فى ذلك الوقت للاحتجاج على سياسة الحكومة .

وقد دخلت السبجن تلميذا متحمسا وخرجت منه مشبحونا بطاقة من الغضب وقد مضى بعد ذلك زمن طويل قبل ان تتبلور أفكارى ومعتقداتى وخططى ، ولكن حتى فى هده المرحلة المبكرة كنت أعلم أن وطنى يخوض صراعا متصلا من أجل حريته .

وكان ابى قلقا بسبب آرائى السياسية ، فقد سجن أخوه ايام الحرب العالمية الأولى بتهمة الاثارة السياسية ، ولذا كانت مخاوفه أن يحل بى ما حل بعمى مخاوف طبيعية .. فقد كان كل أمله أن نحيا جميعا حياة آمنة بعيدة عن المزعجات .

ولكنى بعد اشتراكى فى المظاهرة السياسية الأولى ، دخلت الميدان بكل جوارحى واصبحت رئيس لجنسة لتنظيم المقساومة ولا سبما مقاومه السبطرة الساخطة ولقد كان ذلك متنفسا لابد منه بعواطعا الحادة ولتسعورنا بالكبت الذى يضغط على وطننا م

وفى نهاية الأمر ضاق المسئولون فى المدرسة ذرعا بنشاطى ، ونبهوا أبى فأرسلنى الى القاهرة لأعيش مع عمى والتحق بمدرسة اخرى هناك .

وفى تلك الفترة حدث لى حادث أثر فى عواطفى أكثر من أى شىء آخر فى تلك السنوات الباكرة ، فقد كان أبى مصرا على معارضسة مشاعرى وأعمالى الثورية ، أما أمى فقد كانت تنظر الى السياسة نظرها الى شىء لا يعنيها ، وكانت العلاقة القائمة بيننا هى مجرد علاقة الحب المخالص الذى يربط ما بين الأم وولدها ، ولم أكن أفرط فى رحلاتى لزيارة اسرتى ، ولكن حين انقطعت عنى أنباء أمى فترة من الزمن سافرت لزيارة الأسرة ، ولما بلغت البيت لم أجد لها أثرا ، وعلمت أنها قد ماتت قبل ذلك بأسابيع ولم يجد أحد الشجاعة الكافية لابلاغى بموتها _ ولكنى اكتشفت موتها بنفسى بطريقة هزت كيانى .

وعدت لفورى الى القاهرة . . حيث كرست نفسى انشساطى السياسى بصورة أعنف من ذى قبل . . وخفف الزمن صدمتى . . ولكنى نللت مبتعدا عن أسرتى لعدة سنوات ، فقد كان فقد أمى في حد ذاته أمرا محزنا للغاية ، أما فقدها بهذه الطريقة فقد كان صيدمة تركت في شيسعورا لا يمحوه الزمن وقد جعلتنى آلامى وأحزانى الخاصة في تلك الفترة أجد مضضا بالغا في انزال الآلام والاحزان بالغير في مستقبل السنين .

وفى سنوات التكوين شغلت اهتمامى كل الأحزاب السياسية التى كان هدفها الأول أن ترد للشعب المصرى حريته ، وقد انضممت مدة عامين بعد مظاهرة الاسكندرية الى جماعة مصر الفتاة ، ولكنى تركتها بعد أن اكتشفت أنها رغم دعواها العالمية لا تحقق شيئا واضحا ..

وقد فوتحت في عدة مناسبات للانضمام للحزب الشيوعي الكني رغم دراستي للمذهب الماركسي ولكتابات لينين وجدت امامي

عقبتين اساسيتين .. كنت اعلم أنه لا سبيل الى التغلب عليها .. وقد كنت العقبة الأولى هى أن الشيوعية فى جوهرها ملخدة .. وقد كنت دائما مسلما صادقا أومن ايمانا لا يتزعزع بوجبود قةو فوق قوة البشر هى الله ، الذى يهيمن على كل مصائرنا ومن المستحيل على أى انسان أن يكون مسلما صادقا وشيوعيا صادقا . أما العقبة الثانية فهى أنى أدركت أن الشيوعية معناها بالضرورة سيطرة من نوع ما من الأحزاب الشيوعية العالمية ، وهذا أيضا ما كنت أرفضه رفضا باتا وقد كان كفاحى وكفاح زملائي طويلا وشاقا لانتزاع السلطة من الطبقات الاقطاعية ولتحطيم السيطرة الأجنبية على مصر ولتحقق بلادنا الاستقلال الصادق .. وعلى هذا فلقد كان مجرد الظل لسيطرة اجنبية أمرا لا استطيع أن أقباله .

وقد كانت لى اتصالات متعددة بالاخوان المسلمين رغم أنى لم اكن قط عضوا فى هذه الجماعة ، وأحسست بقوة زعيمهم المرشد العام حسن البنا ، وهنا وجدت امامى صعوبات دينية ، فقد كان فى تصرف الاخوان المسلمين ضرب من التعصب الدينى وما كنت أرضى بانكار عقيدتى ولا بأن تحكم بلادى طائفة متعصبة ، كنت واثقا من أن التسامح الدينى لابد وأن يكون ركنا أساسيا من أركان المجتمع الجديد الذى كنت أراه قائما فى بلادى .

انا كنت سعدة ١٩٣٦ أو قبل سعدة ١٩٣٦ من سعدة ١٩٣٦ النصميت اليها بطريقا الضميت الي جماعة مصر الفتاة ، والحقيقة انضميت اليها بطريقا الصدفة ، انا كنت ماشى فى الاسكندرية فى المنشية ، فوجدت معركة بين البوليس وبعض الناس فانضميت بحكم العادة للناس ضا البوليس ومسكونى ، ورحت قسم المنشية ، بعد ما دخلت وحطونا فى الحجز . . سألت الناس اللى معايا . . أيه الحكاية فقالوا لى ان جماعة مصر الفتاة كانت عايزة تعمل اجتماع والبوليس منعها بالقوة ، وتانى يوم جه شيخ الحارة وطلعنى بالضمان بتاعه ، وطلعت دورت على مصر الفتاة . . وجدت مصر الفتاة كان فيها احملا حسين وفتحى رضوان وانضميت لها ،

في الحقيقة انضميت وقعدت وشفت . مكنتش لسه اشتغلت بالسياسة وشفت الكلام اللي بيقولوه وبيعلموه ، والحقيقة اقتنعت جدا وانضميت الى مصر الفتاة وجيت هنا كنت ساكن في الظاهر وكانت مصر الفتاة في الساحة ، فكنت اعدى مثلا بعد الظهر اروح الساحة وادخل مصر الفتاة ، الاقى مثلا الجريدة ، كان عندهم جريدة او مجلة اسمها الصرخة موجودة في مطبعة الرغائب اللي موجودة وراء سينما رويال مش لاقيين حد يروح يجيبها او عربية تروح تجيبها . . آجى اشيل الجرائد على مرة واثنين وثلاثة لغاية ما اوديها .

عمل مقتنع بيه وبعدين مش لاقيين ورق بوستة علشان يبعتوا الاشتراكات . ادور على اللى معايا . ايه كل الفلوس . اللى معايا أروح أجيب بيها ورق بوستة . وبعدين أظرف الجريدة . وناس كانوا بيعملوا معايا هناك . . بهذا الشكل نشيلها . . ونروح على العتبة . . ونرمى المجلة في الصندوق . . وبعدين يبقى مفيش معايا ولا مليم . . أضطر أروح الظاهر ماشى . يعنى أيه اللى خلانى أعمل كده ؟ . .

وتباورت مشروعاتى لمستقبلى بعد عقد المعاهدة المصرية الانجليزية عام ١٩٣٦ التى نجم عنها أن حكومة الوفد أصدرت مرسوما يقضى بفتح الكلية الحربية للشبان بصرف النظر عن طبقتهم الاجتماعية أو ثروتهم ، وكنت أنا مع نفر من الآخرين اللاين ظلوا فيما بعد رفاقا حميمين ، من بين أول من استطاعوا الانتفاع من هذا الوضع - فالتحقت بالجيش بعد أن كنت أدرس في كليسة الحقوق .

وتخرجت بعد سنتين فى ١٩٣٨ من الكلية الحربية بالعباسية برتبة ملازم ثان وفى نفس السنة تخرج أثنان من الضباط هما زكريا محيى الدين ومحمد أنور السادات اللذان اقترن اسماهما فيما بعد اقترانا وثيقا بقصة الثورة ،

كان الجيش المصرى حتى ذلك الوقت جيشا غير مقاتل ، وكان مصلحة البريطانيين أن يبقوه على حاله ، أما بعد ذلك فقد بدات تدخل طبقة جديدة من الضباط الذين كانوا ينظرون الى مستقبلهم في الجيش بوصفه مجرد جزء من جهاد أكبر لتحرير شعبهم . وعينا ثلاثتنا في حامية منقباد . ولكن سرعان ما اصبنا بخيبة أمل ، فقد كان أكثر الضباط عديمى الكفاءة وفاسدين ، وقد دفعت الصدمة بعض زملائي من الضباط الى حد الاستقالة ، أما أنا فلم أر جدوى من الاستقالة رغم أن سخطى كان لا يقل عن سخط الآخرين ، واتجه تفكيرى بدلا من ذلك الى اصلاح الجيش سخط وتطهيره من الفساد .

وفى ١٩٣٩ نقلت الى الاسكندرية وهناك التقيت بعبد الحكيم عامر ، وكان يشاركنى ذلك الاعتقاد الراسخ فى الاعماق مضرورة الثورة والتغيير وبعد نشوب الحرب العالمية الثانية بزمن رجيز ، نقلت الى كتيبة بريطانية تعسكر خلف خطوط القنال بالقرب من العلمين . . ولم يكن هناك أى تعارض بين استطاعتى أن أشسعر بشمور ودى نحو عدد منهم على المستوى الشخصى ، وأن احترمهم الضا كجنود وبين شعورى العميق بضرورة التخلص من السيطرة البريطانية .

وفى هذه المرحلة رسخت فكرة الثورة فى ذهنى رسوخا تاما ، أما السبيل الى تحقيقها فكانت لا تزال بحاجة الى دراسة وكنت يومند لا ازال اتحسس طريقى الى ذلك ، وكان معظم جهدى فى ذلك الوقت يتجه الى تجميع عدد من الضباط الشبان ، أشسعر أنهم يؤمنون فى قراراتهم بصالح الوطن ، فبهذا وحده كنا نستطيع أن نتحرك حول محور واحد هو خدمة القضية المشتركة .

كنا بحاجة الى شيء بجعلنا جميعا ندرك الضرورة الملحة والمحتمية في حركتنا الثورية فأعطانا الانجليز ما نحتاج اليه . . كان

ذلك فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ، ومنذ ذلك التاريخ لم يعد شيء كما كان ابدا . . ان حوادث ٤ فبراير قد الحقت العار بمصر ، لكنها رغم ذلك الهمتنا بروح جديدة ، فقد ايقظت هاذه الحوادث اناسا كثيرين من سباتهم وعلمتهم أن هناك كرامة تستحق أن يدافع عنها الانسان بأي ثمن .

وكان عام ١٩٤٥ اكثر من مجرد عام انتهاء الحرب ، فقد شهد هذا العام بداية حركة الضباط الأحراد . . تلك الحركة التي أشعلت فيما بعد شعلة الثورة في مصر .

وقد ركزت حتى ١٩٤٨ على تأليف نواة من الناس الذين بلغ استياؤهم من مجرى الأمور في مصر مبلغ استيائى ، والذين توفرت لديهم الشحاعة الكافية والتصميم الكافي للاقدام على التعبير اللازم . . وكنا يومئل جماعة صغيرة من الأصدقاء المخلصين نحاول أن نخرج مثلنا العليا العامة في هدف مشترك وفي خطاة مشتركة . . وكانت بي رغبة عارمة للمعرفة . . فأقبلت على الاطلاع بنهم والتهمت كتب المفكرين من أمشال . . لاسكى ونهرو ، وانيورين بيفان وبدأت أفكار الاشتراكية تتكون لدى شيئا فشيئا ،

وجاءت القطرة الأخيرة التى طفح الكيل بعدها . . في مايو المهمة النهت بريطانيا انتدابها على فلسطين ، وأحسسنا جميعا بأن اللحظة جاءت للدفاع عن حقوق العرب ضد ما اعتبرناه انتهاكا صارخا لا للعدالة الدولية وحدها ، ولكن لكرامة الانسانية كذلك .

لقد اتضح لى عندئذ أن المعركة الحقيقية هى بالفعل فى مصر ، فبينهما كنت ورفاقى نحارب فى فلسطين ، كان السسياسيون المصريون يكدسون الأموال من أرباح الاسلحة الفاسدة .. ولقد كان من الضرورى تركيز الجهود لضرب اسرة محمد على .. فكان الملك فاروق هو هدفنا الأول من نهاية ١٩٤٨ الى ١٩٥٢ .

واقمنا تنظيمنا ونسقنا نشاطنا ، ونشبت في منطقة القنال حرب عصابات لتدمير المنشآت البريطانية ، وكنت اعلم ان عدم قيامنا بأية محاولة كبرى للاستيلاء على السلطة قبل أن نستعد تماما ، أمر حيوى بالنسبة لنا . . وكان في نيتى ان نحاول القيام بثورتنا في ١٩٥٥ . . لكن الحوادث املت علينا قرار القيام بالثورة قبل ذلك بكثير . . كانت الأحداث تتطور بسرعة لا نملك السيطرة عليها . . كان السياسيون يتراشقون بالاتهامات وبدات الجماهير تعبر عن غضبها وسخطها علنا . . وفي ٢٦ يناير ١٩٥٢ حدثت ماساة حريق القاهرة . . ولم تتخذ السلطات أي أجراء . . وتملك الملك حريق القاهرة . . ولم تتخذ السلطات أي أجراء . . وتملك الملك فصمم على أن يكون الرئيس الجديد مرشعا من مرشحيه وهو فصمم على أن يكون الرئيس الجديد مرشعا من مرشحيه وهو اللواء حسين سرى عامر .

وكنت لا أقل عنه تصميما على الحيلولة دون وقوع ذلك ، قرشحت أنا وزملائى من جماعة الضباط الاحرار اللواء محمد نجيب ، وقمنا بالدعاية له دعاية سافرة . . وجاء انتخاب اللواء محمد نجيب بأغلبية كبرى . . لكن الانتخاب الغى بتعليمات من الملك شخصيا . .

وحل الملك اللجنة التنفيذية لنادى الضباط .. وأصدر وزير، حربيته قرارا بتعيين اللواء محمد نجيب مديرا لسلاح المدود بالقاهرة ـ كما نقل كثير من الضلاط الى مراكز نائية خبطا في الفلام .

ولقد أحسست بأن تأخير محاولتنا القيام بثورتنا حتى 1900 مسألة مستحيلة ، فان الحوادث تتحرك بسرعة والاسستعداد الثورى أصبح متحفزا . . ثم أن هيبة فاروق كانت في الحشيض . . . لقد قدرت أن الموقف مناسب . . .

وفى منتصف شهر يوليو دعوت الموجودين فى القاهرة من أعضاء الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار الى اجتماع وأبلغتهم بأن احتمالات القيام بالثورة مفتوحة للنجاح ، ولم يكن من رأيى اعدام الملك ، فقد كنت أحس أن أراقة الدماء ، تؤدى ألى مزيد من الدماء ، وكنت أريد للشورة أن تضم القاييس التى ستحاسب دائما بها .

وفى وضع خطتى الأساسية كانت أمامى جملة مشساكل ، ولم أهتد الى حل لبعض هذه المساكل الا بعد أن بدأنا فعلا .

ومن هذه المشاكل على سبيل المثال مشكلة الحرس الملكى الذى كان مؤلفا من نحو ست كتائب وهذه تفوق بعددها كثيرا مما كنت استطيع أن أعتمد عليهم من الرجال ، لم أكن أعرف كيف يتصرف الحرس الملكى ، كذلك كان من مصلادر قلقى احتمال تدخل البريطانيين أو الأمريكيين فى جانب الملك .

ومن مشاكلى أيضا أن كثيرين من الضباط الأحرار كانوا في أماكن نائية لا تمكنهم من مساعدتنا ، ولم يكن في القاهرة الا ثلاثمائة ضابط يمكن أن يناصرونا بصورة محققة ، ولقد قررت الا أشرك الكثيرين من هؤلاء أشراكا أيجابيا ، فقد كان الاحتياط أمرا جوهريا لنجاحنا ، ومن ناحية أخرى فلقد تصورت أنه ربما كان خيرا أو تركنا قوة أخرى من زملائنسا تغلى قلوبهسا بالثورة لتواصل العمل أذا ما أخفقت محاولتنا .

ورسمنت الخطة الأساسية بعد اجتماعات عقدناها في بيوت عدد منا وسلمتها لعبد الحكيم عامر ليضع تفاصيلها ، وكنا نريد أن نبدأ في التنفيذ بعد ٢٤ ساعة أي ليلة ٢١ يوليو ، لكن كان من المحسال استكمال خطتنا على هذا الأساس وبناء عليه أجلت ساعة الصفر الى الساعة الواحدة صباح ٢٣ يوليو .

وفى نحو الساعة العباشرة من مسساء ٢٢ يوليو جاء الى بيتى ضابط من ضباط المخابرات وعضو من جماعتنا وان كنا لم نخطره

بما اعتزمنا القيام يه ، لتحذيرى بأن القصر قد تسرب اليه نبا استعداد الضباط الأحرار للتحرك وانه قد اتصل برئيس اركان حرب الجيش الذى دعا الى عقد اجتماع عاجل فى الساعة الحادية عشم ة لاتخاذ الاجراءات ضدنا .

وكان لابد من اتخاذ قرار فورى ، فلو اننا تركنا كل شيء ليتم فى ساعة الصفر المتفق عليها وهى الواحدة صباحا ، فقد يدركوننا قبل ان ندركهم ومن ناحية اخرى كانت الأوامر قد وزعت وكان من أصعب الأمور الاتصال بكل من له صلة بالموضوع .

وانضم الينا ضابط المخابرات وخرجت مع عبد الحكيم عامر لنجمع بعض القوات من تكنات العباسية ووصلنا متأخرين ، فقد وجدنا البوليس الحربى قد أغلق الثكنات ، فمضينا الى تكتات الفرسان والمصفحات فوجدنا أيضا أنهم سلمقونا وكان البوليس الحربى بحرسى كل المداخل .

وبدا للحظات ان خطتنا كلها في خطر ، ولم يبق على ساعة الصفر الا تسعون دقيقة ، وبدا أن خطة الثورة كلها تدخل في مرحلة من تلك المراحل الخطيرة في التاريخ ، عندما تتدخل قوى أكبر منا لتوجيه الحوادث . . ولقد تأكد لى من تطورات الأمور أن عناية الله كانت تلك الليلة معنا .

فقد انطلقنا لنتوجه الى ثكنات الماظة كحل اخير . وكنت آسير بسيارتى الاوستن ومعى عبد الحكيم عامر ، وفي طريقنا التقيت يطابور من الجنود قادمين في نفس الطريق تحت الظلام ، واخرجنا الجنود من السيارة والقوا الغيض علينسا - لكن الجنود كانوا في الحقيقة من قوات الثورة - وكانوا ينغذون اوامرى بالقساء الغبض على كل الضباط فوق رتبة القائمقام دون مناقشة ، ولم يكن الجنود يعرفون من أكون فتجاهلوا كل كلامنا لمدة عشرين دقيقة تقويبا ، كال دقيقة منها أثمن ما يكون ولم تصدد الأوامر فورا باطلاق سراحى وسراح عبد الحكيم عامر الاحين تقدم البكباشي يوسفه صديق قائها وسراح عبد الحكيم عامر الاحين تقدم البكباشي يوسفه صديق قائها

المجموعة واحد زملائى المقربين ليستطلع سر الضجة ، ولم أسعد لرؤية أحد في حياتى كما سعدت حين رأيت يوسف صديق يخرج من الظلام فقد تحرك قبل الموعد المحدد له وكان ينتظر حتى تحل ساعة الصفر ليبدأ الهجوم .

وانضممنا الى الطابور وقررت الا ننتظر واتجهنا فورا الى القيادة وكانت قواتنا لا تزيد عن قوة سرية ، لكن عنصر المفاجأة كان في جانبنا .

لقـــد اعتقلنــا في الطريق عددا من قادة الجيش الذين كانوا يحضرون الاجتماع في القيادة لتوجيه الضربة ضدنا .

وحدثت مقاومة قصيرة خارج القيادة ، ثم اقتحمنا مبنى القيادة نفسه ووجدنا رئيس هيئة اركان الحرب وكان على رأس المائدة يضع مع مساعديه خطة الاجراءات التي ستتخذ ضد الضباط الاحرار وقبضنا عليهم جميعا .

وفى السباعة الثالثة صباحا ، التقت نفس مجموعة الضباط الذين كانوا قد التقوا قبل ذلك بعدة أيام ، التقوا من جديد ـ لكن التقاؤهم هذه المرة كان فى حجرة الاجتماعات بالقيادة العامة .

وأوفدت من يجىء باللواء محمد نجيب الذى كنا قد فاتحناه القبلها بيومين فى احتمال انضمامه الينا اذا ما نجحت المحاولة ، ولم نكن قد اطلعناه على احداث الليلة ، لكن تبين لنا أنه كان له علم سابقا بما حدث ، فقد اتصل وزير داخلية الملك تليفونيا فى الإسكندرية قبل ذلك بنصف ساعة ليستفسر منه عما يجرى ، وأمكنه أن يجيبه بأنه لا علم له بشيء دون أن يكون كاذبا فى كلامه .

كان نجاحنا تاما فى الخطوات الأولى وبقى أن نستوثق تماما أن الملك لن يتمكن من تنظيم هجوم مضاد . . وفى الصباح أجرينا اتصالا بالسفارة الأمريكية أولا ثم السفارة البريطانية لابلاغهما أن الضباط الأحرار استولوا على السلطة وأن كل شيء يجرى فى نظام تام وأن حياة الإجانب وممتلكاتهم ستؤمن ما لم يحدث تدخل خارجى .

وفى السابعة صباحا أعلنا على الشعب المصرى من محطة الاذاعة نبا عزل الوزارة المصرية وأن البلاد أصبحت أمانة فى يد الجيش وأن الجيش أصبح الآن تحت اشراف رجال يستطيع الشعب أن يثق ثقة تامة فى كفاءتهم ووطنيتهم ، وكان الملك قبل ذلك بنصف ساعة قد سأل قائد جيشه عما يجرى من أمور فأجابه قائلا أنها مجرد عاصفة فى فنجان يا صاحب الجلالة .

وواجهتنا مشكلة كيف سنتصرف في الملك .. وكان من دأى بعض الزملاء محاكمته واعدامه وكنت لا أزال على تصميمي أن تكون الثورة بيضاء ما أمكن ذلك وقد كنت أرى اخراج الملك من الملاد على وجه السرعة .

ولجأ الملك الى السفير الأمريكى وطلب اليه أن يتدخل مع الوزارة التى تألفت بعد الثورة لانقاذ حياته . . ولم نكن نريد حياته وانما كنا نريد خلعه من العرش .

وس قع الملك. وثيقة التنسازل عن العرش مرتين ، بعد أن قراها وقعها أول مرة ويده ترتعش فاضطر الى توقيعها من جديد ، وكان في حالة شبه هستيرية ، وسمحنا له بأن يأخذ معه ما بدا له ، ولم نشترط الا أن يكون على ظهر اليخت الملكى في ميناء الاسكندرية قبل السادسة مساء ، وقد أمكن للملك رغم خوفه أن يجهز ٢٧٣ حقيبة وصندوقا ن

وأعلن نبأ تنسازله على الشعب في السادسة مساء من محطة الاذاعة في نفس الوقت الذي أبحر فيه على ظهر اليخت الملكي من ميناء الاسكندرية وهو يلبس الزي الرسمي الأبيض ، زي القسائد الاعلى للبحرية ، وكان اللواء محمد نجيب يودعه على ظهر اليخت ، فكانت آخر كلمات الملك : لقد كنت استعد الأفعل بكم ما فعلتم بي . لقد نجحت العمليسة الأولى للشورة . . وبقى علينا أن نجعل المستقبل يستحق كل هذا العناء . . لم نكن راغبين في الحكم مطلقا ، لا أنا ولا زملائي من الضباط الأحرار . . كنا مصممين على محو كل

اثر للسيطرة الاجنبية وعلى اجراء اصلاح زراعى حاسم لانهاء النظام الاقطاعى الذى اختفى من قبل فى اوربا منذ ثلاثمائة عام . . وكنت اريد ان يضطلع بالمسئولية حزب يمكن ان يؤتمن زعماؤه على العمل فى الحدود التى تلهمها روح الثورة .

وفى بداية الأمر . . صفقت كل الأحزاب وهللت ، وتصور كل من الوفد والاخوان المسلمين والشيوعيين أن التسورة لهم ، فقد كانوا يحسبون أن من اليسير عليهم تشكيل جماعة من شسباب الجيش المتحمسين بما يتفق مع منهجهم . . ولكنهم عجزوا عن ادراك ما يكمن وراء الثورة من قوة في الهدف .

وتحدثت مع زعماء كل الأحزاب ، لكنى لم أجهد بينهم من كان على استعداد لتقديم صالح الشعب على صالح حزبه ، بل لقد ذهبت الى أكثر من هذا . . فعزضت على حزب الوفد أن أنقل اليه السلطة بشرط أن يضمن جلاء البريطانيين عن منطقهة القنال وأن يطبق الاصلاح الزراعي الذى يحدد حيازة الملكية الزراعية بمائتى فدان للشخص الواحد . . ولكنهم رفضوا الاصلاح الزراعي .

وهكذا . . حملنا المسئولية على عاتقنا والأسف يملأ قلوبنسا ، ولقد كان عملى يسيطر على حياتى ، فقلما وجدت الوقت لشيىء آخر غير العمل .

وسرعان ما اكتشفت أن حكم بلد من البلاد يختلف اختلافا عظيما عن قيادة كتيبة من الجنود . . ومع ذلك كانت هناك وجوه مشتركة بينهما . . فقد عرفت في مرحلة باكرة جلدا ضرورة التخطيط ، فالاصلاحات التي أردنا ادخالها كان لابد من تنفيل أها على أساس الخطة الطويلة الأجل .

ولقد شغل التخطيط بالى فى هذه المرحلة . . ورحت اتحسدت عنه الى كل من تتيح لى الظروف فرصة أن التقى به ، وتكون لديهم فكرة عنه أو تجربة ...

وانى لأذكر أن موضوع التخطيط كان أول حسديث طويل بين البانديت نهرو وبينى . .

ولم اكن أستطيع أن أعتبر نفسى خبيرا ، كما أنه لم يكن تحت تصرفنا الا عدد محدود من الخبراء ولا سيما في المجال الاقتصادى وهو مجال ذو أهمية حيوية ، فالخبراء رغم كل شيء قد يكونون في بعض الأحيان عبنًا أكثر منهم عاملا مساعدا . . فقد يكونون متحجرين فيما الفوه من أساليب ، ولهذا فاني أفضل المفكرين على الخبراء . . أن التفكير يجب أن يرسم الاطار العام للحركة أولا ثم يجيء دور الخبرة في خدمة الاطار العام .

مصادر التجميع

فلسفة الثورة 🧝

س حديث الزعيم مع الكاتب الانجليزي (ديزموند ستيوادت) في أول أبريل ١٩٥٧ .

س حدیث الزعیم مع د . و . مورجان مندوب صحیفة العسندای تیمس الانجلیزیة . . ونیو ۱۹۹۲

⁻ لقاد الزعيم بالمعوثين سنة ١٩٧٠ -

💣 حكاية الاصلاح الزراعي 🚳

. و اصبح الفلاح ملكالأول عرة!

الزمان: الآيام الأولى من شهر سبتمبر . . قبـــل أن ينقضى شهران على قيام الثورة . .

المكان: مبنى مجلس قيادة الثورة بالجزيرة ...

الموضوع: مناقشات حول المشكلة الزراعية في مصر ...

القرار: صلك بتحرير الفلاح من عبوديته واطلاق سراحه بعد الاف السنين . .

والحكاية تبدأ فصولها في مصر ، قبل الميلاد . . فمنذ آلاف السنين . . والفلاح المصرى يعاني من الظلم والطغيان ، يزرع ، وغيره يحصد ، يئن وصوته لا يسمعه احد . . واجبات كثيرة تلقى عليه ، وليس له أية حقوق . .

ووقف جمال عبد الناصر الى جانب هذا الفلاح ، وظل بجواره ، حتى حرره تماما ، وجعله شريكا فى صنع الحياة السياسية فى بلاده ، فدخل كل المجالس الشعبية ، والتشريعية ، بل وضمن له عددا من المقاعد فيها بحكم الدستور والقانون .

قبل ذلك حرره ، حرر لقمة عيشه ، وارادته عندما أعاد اليه ارضه ...

فغى يوم ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٥٢ خرج من القاهرة عدد من الواطنين يحملون رسائل مثيرة ، ذهبوا بها الى كل بلاد الجمهورية يتسلمون أراضى الاقطاع . . التى وزعت على الفلاحين .

ولم تكن الحكاية سهلة ، ابدا ، فقد وقف كبار الملاك صدها ، وقفت الاحزاب السياسية تعارضها ـ ووقفت الوزارة التي جاءت بها الثورة متعاطفة مع كبار الملاك . . وقالوا جميعا انها ستؤثر على اقتصاد مصر . . واقتصاد مصر يعتمد على الزراعة ، ومعنى تحديد ملكية الأرض أن يجوع الناس ، والا نجد قطننا الذي نعتمد عليسه كسلعة أساسية ووحيدة في التصدير . .

وقال عبد الناصر: سنوزع الأرض على الفلاحين •

وقالوا أن الذين عدد سيستفيدون عدد قليل لا يساوى احداث هزة في الاقتصاد .

وقال عبد الناص : لا . . بل عددهم كبير والقراد له قيمة سياسية الى جانب ذلك هى تحرير الفلاح ، تحرير ارادته السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وسنوزع الارض على الفلاحين .

ووزع الارض واستفاد مليون شخص من تطبيق قانون الاصلاح الزراعي الأول الذي جعل الحد الأعلى للملكية الزراعية ٢٠٠ فدان

ولكن لنبدا بحكاية الفلاح الذي أعطاه جمال عبد الناصر أول وأبرز اهتماماته . .

* * *

اذا كان الفلاح الفصيح قد عبر عن شكوى الفسلاح المصرى في التاريخ القديم ، فقد كانت أنات الفلاحين في التاريخ الحديث تسجلها الصحف ، وتتناولها الأقلام ، وتلوكها السنة الساسة دون أن يحاولوا ايجاد حل جدرى لها ...

مثلا محمد على باشنا انتزع من الفلاحين كل ما يملكونه من الرض وقاوم الاهالي قترة ولكنهم استسلموا في النهاية ، واهملوا الزراعة لأن خيرها لا يعود عليهم ...

وكتب الؤلف الانجليزى « ادوارد لين » الذى عاصر محمد على قصة شبيهة بقصة الفلاح الفصحيح حدثت أيام محمد على باشا يقول:

« احد الاتراك ، هو سليمان أغا السلحدار كان مديرا للدينة طنطا بالدلتا واشتهرت عنه القسوة وغلظة القلب .. ذهب ذات ليلة الى شونة الحكومة بتلك المدينة ووجد اثنين من الفلاحين نائمين بالشونة فسألهما من يكونا ، وما شأنهما بهذا المكان فأجاب أحدهما بأنه أحضر الى الشونة ١٣٠ اردبا من القمح من احدى قرى الناحية ، وأجاب الثانى بأنه أحضر ٦٠ اردبا من الأرض التابعة للمدينة .

وعند ذلك صاح المدير في وجه الثاني قائلا:

- تبا لك أيها الوغد . . ان هذا الرجل قد أحضر ١٣٠ اردبا من أراضي قرية صعفيرة ، وأنت لم تجيء الا بسستين من أراضي المدينة .

فأجاب فلاح طنطا قائلا:

- أن هذا الرجل يجيء بهذا القمح مرة في الأسبوع أما أنا > فأحضره كل يوم »

فانفعل المدير صائحا:

- آخرس

وأشار بيده الى شبجرة قريبة ، وأمر أحد خدم الشونة بشنتي المدا الفلاح في احد فروعها .

ونفذ الأمر ، وعاد سليمان أغا السلحدار مدير مدينة طنطا الي منزله .

وفي الصباح رجع المدير الى الشونة ، وأبصر برجل يجىء بقمح وقير ، وعندما سأل عنه أجابه جلاد الليلة السابقة :

_ يا مولاى ، انه الرجل الذى امرتنى بشنقه فى الليلة الماضية ، وقد أحضر ١٦٠ أردبا .

وصاح المدير متعجبا:

_ ماذا تقول . . أعادت اليه الحياة ؟

فأجاب الجلاد:

ـ يا مولاى ، لقد شنقته بحيث لمسنت اصبعه الأرض ، وعندما رحلت حللت وثاقه أذ أنك لم تأمرني بقتله .

فزمجر المدير التركي قائلا:

- الشنق والقتل شيئان مختلفان عندكم في اللغة العربية ، انها لغة غنية . . في المرة القادمة سآمر بالقتل ، ولكن احذر غضبي » اليست هذه الحكاية شبيهة بحكاية الكلاح الفصيح . .

... المهم أن الفلاح المصرى استمر يزرع .. ويحصد ديعمل ولا مملك الأرض .

وفى نهاية عصر محمد على وزعت الأراضى البور للمقربين الراعتها لا يؤدون ضرائب عنها ، وسميت بالابعاديات . • •

ووزعت اراضى ثانية جيدة على أن يؤدى عنها ضرائب ، وسمينة الشفالك . .

وكان ذلك نواة خلق طبقة جديدة مثلت الارستقراطية من ملاك الارض ٠٠.

وجاء سعيد يضع لائحة تبيح لمستغل الأرض التأجير أو الرهن أو البيع أو الارث ،

وجاء بعده اسماعيل ليصسبح مالكا لخمس الأراضي المنزرعة في مصر ...»

وبعد أن شقت قناة السويس وكثرت امتيازات الأجانب جاءت المحاكم القنصلية تنزع الأرض بموجب ١٧ قانونا تطبقها القنصليات الأجنبية .

وعندما احتل الانجليز مصر ، راحوا يصفون الدائرة السنية ، وراعوا ان يعطوا بعض الاسر مساحات واسعة من الارض مقابل ما ادوه للاحتلال من خدمات . حتى خلقوا طبقة جديدة من ملاك الارض المتعاونين مع الانجليز الذين قال عنهم الجنزال اللنبي ((انهمن المحكن أن يجلو الانجليز عن مصر ، وهم معلمئنون الى أنهم خلقوا طبقة من الكبراء يمكن لانجلترا أن تستأمنهم على سياستها في هذه البلاد ، فهم في نظر الانجليز درع يدافع عن سياستهم ، كما يدافع عنها الاسطول البريطاني)) .

* * *

وظل الفلاح المصرى نموذجا للتعاسة ، وظلت مشكلة الفلاح المصرى ، مستعصية على الحل ، وغم آلاف الشعارات التى رفعت بترقيته اجتماعيا ، والنهوض به ، ومحاربة جهله ، و فقره ، ومرضه . . وبذلت محاولات لحل المشكلة . . ومع هذه المحاولات كانت انفاضات الفلاحين مستمرة . .

ثاروا فى كفور نجم ضد ظلم وتعسف الأمير محمد على ولى العهد ... ثاروا فى بهوت ضد ظلم وتعسف عائلة البدراوى ..

ورويت قصص ، وحكايات عديدة ...

فى بهوت روى لى الفلاحون ذات مرة ، كيف فرض عليهم الاقطاع أن يلبسوا جلاليب زرقاء فقعل . . وكيف حدد اقامتهم داخل القرى التي يعملون بها فمنع عليهم الانتقال أو الخروج منها . .

وروى لى الفلاحون كيف كان أجر الفرد الواحد منهم بثلاثة تعريفة فى اليوم على الأكثر . . وتحدثوا عن أبنائهم . . كان ممنوعا أن يخرجوا من القرية للتعليم ، واذا قامر أحدهم بأن علم أبنه ،

جاء الباشسا ليحتوى الابن ، ويضمن له وظيفة بالابتدائية حتى لا يتعلم . .

واقاصیص کثیرة یرویها الفلاحون تفیض بالظلم الذی فاض حتی وصل الی حد الصدام المسلح مع قوات السلطة ، ایام کان فؤاد سراج الدین صهر البدراوی عاشور وزیرا للداخلیة فی قمة سطوته ، وعنفوان خبروته ،

في اللجِئة التحضيرية للمؤتمر القومي روى المغلاحون حكايات اخرى اكثر فظاعة عن الاقطاع ٠٠٠

- كانوا يحملوننا فى عربات كالبهائم الى لجان الانتخابات ، وكان لا بد لنا أن نخضع لأن الأرض أرضهم ، ونحن عبيدهم ، ونعمل عندهم ومن يمتنع عن ركوب هذه العربات لا يمكنه أن يعيش ، وكنا ندخل لجان الانتخابات نقول ما ليس فى ضمائرنا »
- « وكانت كلابهم تنام على سراير مخصوصة ويسهر على خدمتها وتربيتها « افندية » في حين أن اولادنا كانوا ينامون على الارض بلا غطاء ولا رعاية ، وحدث مرة أن دخل صاحب الكلب غرفة الكلاب فوجد الشخص الآدمي الذي يخدم الكلاب نائما على السرير ، فما كان منه الا أن عاقبه بخصم نلاثة أيام من مرتبه بحجة أنه أقلق واحة الكلب . . .
- « وفي مرة مرض الكلب ، في حين أن هناك آلافا من الآدميين يقاسون من المرض والفقر والجوع ، مرض الكلب ، فاذا بمفتش الزراعة يتصل تليفونيا لاستدعاء طبيب للكلب « الفلاني » وكانوا يسمعون الكلاب بأسماء معنية ـ وقال أن الكلب الفلاني مريض ، وقابله واذا بسيارة خاصة تقوم من القاهرة بالطبيب البيطري ، وقابله مفتش الزراعة وصحبه الى مكان الكلب حيث سهر على علاجه الى الثالثة صباحا ، وظل صاحب الكلب أو صاحبته تسفسر عن صحة الكلب تليفونيا ، وكان يتحتم طبعا على الفلاحين أن يشتركوا في

الاهتمام بصحة الكلب ، في حين أن الفلاحين الذين يزرعون كانوا شامون بدون أكل أو غطاء .

« لا يخرج من ذهنى اذا تأخر أى واحسد فى دفع ايجار الارض ، وكان ايجار الفدان يصسل الى ١٠٠ جنيه ، كان تفتيش الزراعة يأخذ الفلاح بأولاده الى نقطة البوليس ، ويمنع عنه الاتصال بغيره كأنه مجسرم ويأخذ مواشسيه ويمنع دخول الأكل لهم حتى نتعاون مع بعضنا نحن الفلاحين لكى ننقذ الرجل وأولاده ومواشيه وندفع له ما يمكن دفعه حتى يخرج من السجن .

- « وضع أحمد باشا الخديوى يده على ١٨ ألف فدان في مركز نجع حمادى وزرعها قصبا واقام فيها مصنعا للسكر يقدم انتاجه للأجانب » ...
- « حدث ذات مرة أن جاع أحد العمال ، فأخذ عودا من القصب واختباً داخل الزراعة ليمصه ، وتصادف أن كان الباشا يمر على الزراعة ، فلمسح أحد خدمه الرجل وهو يمص قصب أفندينا ، ولما سأله الباشا عن ذلك ارتعسد الرجل خوفا وانكر ، فطلب الرجل استحضار من يدوق فم الرجل ، فأن كان حلوا ثبتت عليه التهمة ، وفعلا أجاب أحد الخدم أن فمه حلو ، وقال آخر أنه أمسكه بنفسه متلبسا ، فكان جزاء الرجل المسكين أن كتفوه بالحبال ، وطرحوه أرضا ، وخلعوا أسنانه ، وأضراسه بكماشة النجار وهو يستغيث في الوقت الذي كان الباشا فيه يضج بالضحك حتى مات الرجل » (م)
- « كان للباشا وكيل على زراعته ، بلغه مرة من اعوانه أن هذا الوكيل سرق قصيا فأسرها الباشا فى نفسيه حتى صحبه مع المعلق الم

(١) الفلاح عزت قعلي ، أمام اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية

الحاشية في يوم لزيارة المينع ، ووقفوا امام احدى ماكينات الخراطة وألقى الباشا بوكيله في الماكينة وهو يضحك ويقول « الرجل اكل قصب افندينا والآن يأكل وأبور افندينا الرجل » (١) .

« لما مات الباشا خلفه ابنه الأمير السابق يوسف كمال الله كان باطنه المكر ، وظاهره الخلاعة ، وكان له كلاب صحيد يزيد عددها عن المائة ، يركب الخيل مع السياس وبعض الأجانب ويمر على زراعات الأهالى بخياه وكلابه فيهرسونها ويتلفونها ، وأذا شكا أحد يكون جزاءه عشرين جلدة ، ويسترضونه بقرش صاغ واحد » .

« في المساء يستحضر الطبالين والزمارين والمومسات الى سكنه بالبندر حيث ترتكب الفحشاء ويلتقط ضيوفه الأجانب هذه المجازى ، كل هذا ليعرف الأجانب أن شعب مصر عبيدا له ولآبائه وأجداده ، وكان فائض الأرض يطرح للايجار في المزاد ، ومن يرسو عليه المزاد فيدفع نصف قيمة الايجار ، ويحرث الأرض ويزرعها حتى قبيل الحصاد ، فيحرض غيره على دفع الايجار العلى فيأخذ الأرض بمحصولها وقد سبب هدا سفك الدماء والكراهية بين الأهالى » .

هذه بعض الحكايات عن الاقطاع . . .

ولقد شهد البرلمان المصرى محاولات للوقوف في مواجهة الاقطاع عن طريق الاصلاح . ولكن هذه المحاولات كلها لم تنجح . لأسباب عديدة بينها موقف الأحزاب التي سيأتي الحديث عنه

⁽١) الغلاح طه محمد الخطيب ، امام اللجنة التحضيرية ه

من بينها طبيعة النظام الرأسمالي الاقطاعي الذي كان يسيطر على البلاد يتولى حكمها لمصلحته . ولكن النتيجة انه لم تنجح اية محاولات لمواجهة الاقطاع قبل الثورة .

• ففى سنة ٥٥ تقدم عضو مجلس الشيوخ محمد خطاب بمشروع قانون بتحديد الملكية ... مع عدم المساس باللاك الحاليين ولا يسرى على دريتهم وكان المشروع يهدف الا يسمح لاى شخص يملك ٥٠ فدانا فاكثر أن يشترى أرضا جديدة ٠٠ ولا يسرى ذلك على حق الارث الشرعى ٠٠.

وقالت المذكرة الايضاحية لمشروع القانون « ان تحديد الملكية ملى الوجه الوارد في هذا المشروع يخلق راسمالا اهليا من ايراد المبالغ التي يحصل عليها كبار الملاك من بيع محصولاتهم في كل عام والتي كانوا يخصصونها لزيادة ممتلكاتهم الزراعية وسوف لا يمر وقت طويل حتى ينسى كبار الملاك اسفهم على حرمانهم مما الفوه من الاستزادة من ملكية الأراضي عندما يجدون أمو الهم تعود عليهم من الاستثمار الصناعي بكسب معقول دون عنت أو مشقة » .

ورفض مشروع القانون ٠٠

وفى سنة .١٩٥٠ قدم النائب ابراهيم شكرى الى مجلس النواب مشروع قانون بوضع حد أعلى للملكية الزراعية بحيث لا يزيد عن ٥٠٠ فدان للمالك وأيضا لم يوافق عليه مجلس النواب ١٠

* * *

كانت صورة الملكية الزراعية قبل جمال عبد الناصر ببساطة هي ان 1/ الأرض الزراعية يملكها ٢٠٠٠ فرد بمتوسط ٢٠٠٠ فدان لسكل منهم ، وأن ٢٦٤٢ الف مالك يمثلون ٩٤٪ من الملاك يملك الواحد منهم ما متوسط ٨٠. من الغدان أي حوالي ٧٥٠ مثل ،

هذه هى الصورة التى واجهها جمال عبد الناصر عقب طرد الملك مباشرة .. وخاض من اجلها اول معاركه بعد قيام الثورة «

كانت الثورة قد طلبت من الأحراب أن تطهر نفسها . وتعلن برامجها . . وفيما يتعلق بمشكلة الفلاح والأرض ، فقد كانت برامج الأحراب التي أعلنت بعد قيام الثورة كالآتي :

- حرب الوقع (۱) في الجرء الخاص بالفلاحين عرض لحل المسالة الزراعية على اساس فرض حد ادنى لأجر العامل الزراعي ، وتنظيم علاقة ملاك الأرض بمستأجريها ، أو زارعها ، وتجديد قرى القطر في مدة أقصاها عشرين عاما ، والعمل على نشر الملكيات الصغيرة ، وتشجيعها وحمايتها وبيع أراضي الحكومة المستصلحة لصغار الزراع ، وبيع أراضيها البور ، وتعديل فئات الضرائب تعديلا جوهريا وزيادتها على الايرادات والتركات الكبيرة (۲) .
- حزب السعديين (٣) نص برنامجه على تحصديد حد ادنى الأجور الفلاحين ، ووضع القواعد لعلاقة المؤجر بالمستأجر على الساس من العدل وتوزيع جميع اراضى الحكومة على ملكيات صغيرة بعد اصلاحها ، وفرض ضرائب مباشرة بنسسبة تمتص الدخول بنسبة عالية بعد حد معين ...
- الحزب الوطئى (٤) تضمن برئامجه وضع حــ لزيادة الملكية

⁽۱) نشر برنامج في صحف اول أغسطس ١٩٥٧ ١٠

⁽۲) نشر فی ۷ آفسطس ۱۹۵۲ ·»

⁽٣) نشر في لا المسطس ١٩٥٧ ١

⁽٤) تشر ق ٢ افسطس ١٥٩١ ١

الزراعية ، اما بوضع حد أعلى لنصابها ، أو يحصل ايراد ما يزيد على هذا النصاب داخلا في نطاق ما تستوعبه الدولة من الضريبة التصاعدية ، كما نص على زيادة فئات الضرائب التصاعدية وتشجيع الملكية الصغيرة .

* * *

١٢ أغسطس ١٩٥٢

بعد أن نشرت كل الأحزاب برامجها ...

طلعت الصحف بمشروع قانون تعده الثورة لتحسديد الملكية الزراعية . • •

وعادت الأحزاب الى الاجتماع ، وقد بدأ القلق بتسرب اليها ، وبدأ كبار الملاك يتحركون . . رئيس حزب الأحرار الدستوريين يصرح بعد نشر مشروع القانون « ان تحديد الملكية مسألة دقيقة فينبغى أن تكون موضع دراسة » .

سكرتير حزب الوفد يقول انه من الأفضل ان تلجأ الدولة الى الضرائب التصاعدية . . وبعد ذلك يعلن فواد سراج الدين (١) بأن الوفد يوافق على المبدأ الذى هو صميم المشروع ، أما ملاحظاتنا فهى مقصورة على التفاصيل فقط دون الجوهر » .

غير الوفد موقفه ، وذلك حتى لا يخسر جماهيره التى بدأت الثورة تكسبها ، والتى رأت في الثورة حلمها . .

ولكن موقف كبار الملاك كان مختلفا بطبيعة الحال ..

ذهب وفد منهم وقابلوا رئيس الوزراء على ماهر باشا يوم ؟ سبتمبر وسلموه مذكرة تحمل وجهة نظرهم . .

⁽۱) المصرى ٦ سيتمبر ه

قالت المذكرة الطويلة ...

لا ان المشروع الذي نشر لا يتفق ودستور البلاد ، ولا مع الدين ، فواضع المشروع لم يستوح روح العدالة والمساواة ، بل جعل هدفه اهدار حق المالك بشكل ملحوظ ففي كل مادة من مواد شدا المشروع تجد انحرافا عن العدالة ، سواء في المقدار الذي خصص لكل مالك ، أو في الثمن ، وتحديده أو في طريقة سداده ، أو تأجير الارض ، وغير ذلك من جميع مواد المشروع ، على سبيل المشال لا يفرق المشروع بين الأعزب والمتزوج والذي له أولاد وبنات أو ليس له في حد المائتي فدان (١) وأن المشروع حدد ثمن الفدان بعشرة أمثال الفئة الايجارية على أن القاعدة العامة هي تقدير الشمن على أساس عشرين مثلا للفئة الايجارية ، وهذه القاعدة نابتة لدى البنوك العقارية والشركات كما أن كثيرين من الملك اشتروا أرضا من الحكومة وغيرها على هذا الأساس . .

وقالت المذكرة التى كتبها يعقوب بباوى ووقعها معه سامح موسى وتبناها كبار الملاك : ان الأديان لم تقل مطلقا بتحديد الملكية ، بل هذا العمل من اعمال اللادينيين اصحاب المذاهب التى بهدم حرية الفرد ، وتجعله الة مسخرة مساوبة الارادة . .

ووصفت المشروع بأنه « شبكة محكمة التدبير يراد بها شكر الاقتصاد الزراعى ، ومناهضته في حين أن هذا الاقتصاد هو دعامة اقتصاد البلاد الرئيسى ، أما مخالفته للقانون والدستور فبادية للعيان » (٢) وقد أثارت المذكرة مسئلة تقريب الفوارق بين الطبقات ، التى قيل في ذلك الحين أن المشروع يعالجها ، فقالت إن « العلاج الوحيد لهذه المشكلة هو في الضريبة التصاعدية التى

⁽۱) استجابت الثورة لهاأه الملاحظة وصدر قائرن يعدل هسدا النص يعطى المستورج الذي له أولاد بحق ٣٠٠ إقدان به

 ⁽۲) الدكتور عبد العظيم رمضان مجلة الكاتب، عدد سيتمبر ۱۹۷۱ س

قررت المذكرة انها «المبدأ الذي أخذت به أرقى الأمم الديمو قراطية». ثم زهمت المذكرة أن زعماء الاقتصاد والاجتماع في مصر وفي الخارج قد عالجوا هذا الموضوع وخرجوا منه بنتيجة واحدة هي : « أن توزيع الماكية سيقضى على اقتصاديات البلاد ورخائها ، وسيجعل المجميع فقراء ، اذ سيقضى على الأغنياء ولا يغنى الفقراء (٢) » .

ثم تناولت المذكرة مسألة تحرير الفلاحين من سيطرة كبار الملاك ، فقالت ان « علاجه ميسور في وجود الحكم الصالح وفي التشريعات التي تعطى للعامل حقوقا على المالك مثل تحديد الأجر وضمان حقوقه . واقترحت المذكرة علاجا آخر للحد من سسيطرة كبار الملاك ، بدلا من تحديد الملكية ، فقالت : « ولا بأس للحد من سيطرة كبار الملاك الذين يملكون زمام ربع القرية أو ثلثها ، من انقاص تلك المساحة بشرط الاتمس الحقوق المكتسبة » .

ثم تعرضت المذكرة لما كان يتردد من أن المشروع يساعد على توجيه رؤوس الأموال الى النشاط الصناعى ، فوصفت هذا القول بأنه خطأ يعيد المدى لسببين : الأول ، أن النشاط الصناعى يحتاج الى كفاية فنية ومواد خام ، علاوة على المال ، لأجل الصمود المام المزاحمة العالمية . وها نحن نرى أن المصانع التى انشئت بمصن غير قادرة على الصمود ، بل بعضها أصابته خسائر فادحة بسبب نقص في احدى الوسائل الثلاث ، وربما تكون الكفاية الغنيسة أو المواد المخام ، أما السبب الثانى ، فهو أن الميدان الطبيعى لتسنيع البلاد هو الصناعات الزراعية . وتلك الصناعات لا يمكن أن تقوم في المساحات الصغيرة ، بل يجب أن تكون في المساحات الكبيرة ، ولذلك نرى فرنسا وهي أرقى الامم لم تلجأ الى توزيع الالكية لهذا ولذلك نرى فرنسا وهي أرقى الامم لم تلجأ الى توزيع الالكية لهذا

 ⁽۲) استفاد من قانون الاصلاح الزراعي الاول ۱۷۲۹ مالكا يعيش عليها نحسو ١٥-٣ الف اسرة تضم أكثر من مليون فود كما استفاد لا مليون من ينظيم الملاقة بين المالك والمستأجر كما ذكرنا .

السبب الهام! على انه اذا كان الراد هو صرف رءوس الاموال المصرية عن الاستكثار من اقتناء الأراضى ، فان سريان دانون تحديد الملكية على المستقبل كفيل بذلك » .

ثم أخلت المذكرة تهاجم المشروع من جوانب ثلاثة: الجانب الأول ، ضرره على الاقتصاد القومى . وقد عددت من هده الأضرار: ضعف الانتاج وانحطاط جودته وقالت ان هذا ثابت من احصائيات وزارة الزراعة السنوية ، حيث يظهر بجلاء أن انتاج المسلحات الكبيرة هو ضعف انتاج المساحات الصغيرة في الكمية والجودة . ثانيا: تدهور حصيلة الضرائب بجميع انواعها من عقارية وتجارية وكذا الضريبة التصاعدية ، لانكماش الاستهلاك المام بسبب ضعف القوة الشرائية .

قدم کبار الملاك مذكرتهم هـنه الى رئيس الوزراء على ماهر بأشا يوم ٤ سبتمبر ١٩٥٢ ٠٠

رنشرت جريدة المصرى فى اليسوم التسالى ان رئيس الوزراء ((وجه اليهم الشكر على روحهم الطبية)) وصرح لهم بأن قانون الاصلاح الزراعى سيوضع على أساس متين قوى من التعاون كلا على أساس يهدف ولو من بعيد الى خلق نزاع بين الطبقات كاوانه طلب اليهم أن يوافوه بمذكرة أخرى فى ضوء المناقشات التى دارت من

اجتمع مجلس قيادة الثورة ، وطلب من على ماهن أن يقسدم استقالته ، وقدمها يوم ٧ سبتمبن . .

وصرح بعد استقالته « بأن مجلس الوزراء قد اقر اجراءات الشيروع بصفة عامة ونهائية » ...

ولكن متحدثا باسم قيادة الثورة صرح (١) بأن الاتفاق كان

قد تم بين مجلس قيدة الشورة ، وعلى ماهر على أن تصدر الحكومة قانون تحديد الملكية كما أعد ، ولكن الخطوات التى اتخذت بشأنه كانت هى الفاصلة المؤدية الى استقالة الوزارة .

* * *

جمال عبد الناصر يقرر في اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى أن قانون الاصلاح الزراعي لم يكن في ذلك الوقت هو الثورة الاجتماعية ، ولكن الاصلاح الزراعي كان في ذلك الوقت دليلا على الحاجة الى الثورة الاجتماعية وعلى الالحاح عليها ، وكان تعبيرا عن آمال الفلاح وكفاحه الطويل من اجل التحرد) . . .

وجمال عبد الناصر في السنوات الأولى للثورة يتحدث عن الاصلاح الزراعي فيقول:

« كان الظلم الاجتماعي يتجسم في كابوس الاقطاع البغيض ، وقد ورثنا طبقة من الحكام والأشراف ترفعوا عن الشعب وراحوا يستمتعون بنفوذهم وأموالهم ، وانقسمت البلاد الى فئتين كل منهما تكره الأخرى ، وهم من طينة واحدة ، معسسكر العبيد ، طائفة الأسياد (۱) .

⁽۱) ۲۳ فیرایر ۱۹۵۳ .

لناخذ بيدهم ، ولابد أن ننظر لبلدنا كمجموعة واحدة ، ولن يتحقق ذلك الا أذا ارتفعنا بأهل الوطن جميعا ، وهذا الطريق هو الذى يحقق لنا حياة سعيدة كريمة خصوصا أن امكانيات البلد محدودة ، فلن نصل إلى القوة والعظمة الا أذا عمل الجميع وشعروا بالحرية والساواة (١) » .

« ولقد كانت سيطرة الاقطاع هي السيطرة المنحكمة في هذا الوطن ، وكان صاحب الأرض يسيطر على الفلاح ، فكان العامل الأساسي في التحرير ، والحرية هو القضاء على هدا الاقطاع . وقد وجننا صعوبة كبرى في وضع هذا الكلام موضع التنفيل ، وحينما كنا نريد أن نقيم حياة ديمقراطية سليمة ، حاولنا أن نتفاهم على مسألة القضاء على الاقطاع ، وكانت هناك عدة اقتراحات منها زيادة الضرائب ، على ما يزيد عن ٢٠٠ فدان ، ولكن المعنى الذي كنا نقصده كان تحرير الفرد ، وعلى هذا الأساس سارت الثورة فطبقنا قانون الاصلاح الزراعي ، وكانت أمنية كل مواطن أن توزيع الأرض على الملايين (٢) » .

وكان البدء بالقضاء على الاقطاع قبل مواجهة الاستعماد » يعنى انه على الثورة التي طردت الملك ، وتخلصت من اسرة محملا على ان تتخلص من الطبقة التي خلقها الاستعمار لتحل مكان القصر فقد ((كان الاقطاع قوة ارادها الاستعمار لتكون بديلا لقوة القصر في الحكم وفي الظالم ، أو لتكون عونا له حسب مقتضىيك الأحوال (۲))) .

⁽١) حديث للمثقفين في نادى الادارة ١٥ ابريل ١٩٥٤ ه.

⁽٢) في الكلية الحربية ٢٨ مارس ١٩٥٥ .

⁽٣) افتتاح مجلس الامة ٢٢ يوليو ١٩٥٧.

وفى اللجنة التحصيبة يعود عبد الناصر ليشرح قصة الصراع الطبقى الحاد الذى كان لابد من الطبقى الحاد الذى كان لابد من القضاء عليه أولا فيقول:

(انا حبيت اقول هذا الكلام علسان ابين المعركة من أول يوم من سنة ٥٦) وهي معركة فيها شد وجذب وفيها صراع طبقى مانقدرش نقول ان مافيش صراع طبقى طالما فيه فلاح بيشتغل عامل تراحيل وموش لاقى ياكل وفيه واحد بيكسب في السنة كام نص مليون جنيه وبيجيب العشا بتاعه من مكتبه من باريس بالطيارة يبقى لابد يكون ، فيه صراع طبقى والا اذا ماكنش فيه صراع طبقى مايبقاش هذا الشعب شعب حى ولكن معرفتنا أن هذا الشعب شعب حى ولكن معرفتنا أن هذا الشعب شعب حى ولكن المفرفية قتلى في اراضى البدراوى شعب كان فيه قتلى كلنا نعرف حصل ازاى ان الفلاحين ثاروا من اجل كرامتهم ومن أجل انسانيتهم .

(افى كفور نجم كان فيه قتلى فى مناطق مختلفة ، كان فيه قتلى رغم التحكم ورغم انه كان معروف ان اللى حابعتى يتخرب بيته لأن هؤلاء الناس هم اسياد البلد اذن . . كان فيه صراع طبقى مانقدرش نقول انى لما بقول ان فيه صراع أنا باعمل صراع طبقى فى البلد انا من أول ما نشات فى هذا البلد وانا طالب شاعر ان فيه صراع طبقى وأنا بعد كده ، ضراع طبقى وأنا بف ثناوى شاعر ان فيه صراع طبقى وأنا بعد كده ، فى كلية الحقوق كنت شاعر ان فيه صراع طبقى بعد كده وأنا فى الجيش لم انعزل عن هذا الشعب كنت شاعر ان فيه صراع طبقى وكان فيه طبقة تسسود وتتحكم وكان ليه طبقة تسسود وتتحكم وكان بنهم حرموا من ابسط الحقوق .

« طبعا الصراع الطبقى كان موجود دائما وأنا من أول يوم من اليام الثورة كنت اشعر بهذا الصراع الطبقى ومن الدوافع التي همتنا الى ان نعمل على وضع قانون الاصلاح الزراعي موضع

التنفيد من أول يوم هو هذا الصراع وهذا التناقض الكبير الموجود بين فئات الشعب ، أقليه بناحد كل شيء وأغلبية محرومة من كل شيء » .

لكل هذه العانى صدر قانون الاصلاح الزراعى ، وكان انقضاء على الاقطاع هو المبدأ الثانى من مبادىء الثورة السنة بعد القضاء على الاستعمار . .

وفي التطبيق بدا عبد الناصر بالاقطاع وفق مخطط لدلك ذكره في ميتاف العمل الوطنى عندما قال يصف هذه الفترة المبكرة من عمر الثورة المصرية ، ويحلل ما قامت به واسسبابه ودوافعه ((وبعد النصر الثورى العظيم صباح ٢٣ يوليو ، وفي طريق الشعب الى التقدم الثورى ، داست الجموع المنتصرة باقدامها بقايا العهد الملكى الدخيل ، ودكت حصون الاقطاع ، واجتثت جذور الرجعية . لقد كانت تلك كلها الركائز التى ثبت الاستعمار عليها وجوده فوق ارضانا ، وبانقصاض شعبنا عليها وتدميرها فان الوجود الاستعمارى ، فقد حلقات اتصاله بارض الوطن الطاهرة ، ومن ثم كانت الخطوة الباقية هي ارغام قواته على الرحيل وراء البحر بعد أن طوت اعلامها ، وأبتلعت كبرياءها) . . .

* * *

يتحدث جمال عبد الناصر ويروى بالتفصيل قصة قانون الاصلاح الزراعى الاول . .،

اجتمع عبد الناصر بفؤاد سراج الدين ؟ اجتماعات ، ورفض حزب الوفد مشروع قانون تحديد الملكية بأصرار ،

اقيلت وزارة على ماهر بسبب رفضها أن تحدد الملكيسة الزراعية ..

كانت معركة الاصلاح الزراعى هى بداية لمعركة مواجهة مع الراسمالية المصرية بعد أن رحل الاحتلال بعد ذلك . . ولم يكن هو الثورة الاجتماعية وربما كان موقف الاحزاب من هذا القانون هو الذى دفع عبد الناصر الى أن يستمر فى الحكم لينفذ البرنامج الذى قام بثورته من أجله ، والذى عجزت عنه الاحزاب ، وظهر تخاذلها عندما اصطدمت ببدايته . .

يروى جمال عبد الناصر هذه الحكاية فيقول (١):

« تجربة ٢٣ يوليو وأنا لما أقول على هذه التجربة أللى مرت في العشر سنين اللى فاتت أقولها علشان نشوف الدروس اللى احنا قابلناها يوم ٢٣ يوليو ٠٠ لم يكن في خاطرنا بأى حال من الأحوال أن نحكم لم يكن في خاطرنا بأى حال من الأحوال أن نستولى على الحكومة ولكنا كنا نعبر عن أمل الشعب في القضاء على الملكية الفاسدة والقضاء على حكم القصور وحكم الحاشية وحكم السفارات الأجنبية وحكم أعوان الاستعمار ولكن لم يكن في خاطرنا أبدا أن نحكم ، كنا نعتقد أننا قد نستطيع أن ننفذ المبدأ السادس أو الهدف السادس من أهداف الثورة وهو أقامة حياة ديمقراطية سليمة في أسرع وقت حتى تقوم حياة ديمقراطية نطمئن لها ويطمئن لها الشعب .

« كان بيبان لنا هذا العمل من أول يوم ايه عمل سهل خصوصا بعد ما خرج الملك وبعد ماتخلصنا من قوة أو سلطة القصر . في أول أيام الثورة طلبنا من الأحزاب أن تستعد لتتولى السلطة وطلبنا من حزب الوفد أن يطهر نفسه من المستغلين ثم طلبنا منه أن

⁽١) } فبرير ١٩٦٢ خطابه في المتتاح اللجنة التحضيرية

يستعد ليتولى الحكم باعتباره كان قبل كده يمثل الأغلبية ولكن كان لنا طلب واحد وهو اننا حين ننفذ الهدف السسادس أو حين نضع الهدف السادس من أهداف الثورة موضع التنفيذ وهو اقامة حياة ديمقراطية سليمة لم يكن لنا بنى حال من الأحوال أن نهمل الأهداف الخمسة الأخرى ، الأهداف التى تقضى بالقضاء على الاستعمار وأعوان الاستعمار والقضاء على الاقطاع والقضاء على الاحتكار والقضاء على سيطرة رأس المال وأقامة عدالة اجتماعية وأقامة جيش وطنى فطالبنا أن تتعهد الأحزاب أو يتعهد الوفد بالذات بوضع هذه الأهداف موضع التنفيذ .

« وكانت الباورة الأولى لاقامة حياة اجتماعية سايمة أو اقامة عدالة اجتماعية البلورة كانت تحديد الملكية أو تنفيد فانون تحديد الملكية ، حصات اتصالات مع الوفد . اجتمعت مع فؤاد سراج الدين أربع مرأت من أجل بحث هذا الموضوع ، اجتمع مجلس ادارة الوفد مرة واثنين وثلاثة وأربعة ليبحث طلبنا ، طلبنا كان تحديد الملكية ، تحديد الملكية ، تحديد الملكية بمائتى فدان ومائة فدان للأبناء يعنى تحديد الملكية كان ب . . ٣ فدان ، كانت ابه الملكيسة . . طوال هذه الاجتماعات كانت هناك محاولات من جانبنا لاقناعهم وكانت هناك محاولات من جانبنا لاقناعهم وكانت هناك محاولات من جانبنا لاقناعهم وكانت مناك

« كنا بنطالب بتحديد الملكية وتوزيع الأراضى على الفلاحين على اساس أن هذه هي الوسيلة الوحيدة التي تحرر الفلاح الذي نشأ في الأرض ملازم للأرض والذي اعتبر سلعة في الأرض عبد للأرض ملك للمالك ملك للاقطاعي .

« هم كانوا بينظروا للأمر نظرة اخرى كانوا بيقولوا اذا كنتم عاوزين تحددوا الملكية ، طيب ما تفكروا في اساوب آخر فكروا في الضرائب التصاعدية قد تساعدكم في رفع دخل الخزانة وتساعد في رفع ميزانية البلاد .

« وكان مفهوم بيختلف عن مفهوم . . احنا كنا بنقول أن احنا مش عايزين فلوس للخزانة ولكنا نريد أن نحرر الانسان . . هم ماكانوش بيفهموا معنى تحرير الانسان والكلام اللي احنا بنقوله بيمتبروه كلام شعارات . . كلام مبيجيش عنه ناتج ولا عائد ولكن الأساس لم نستطيع أن نتفق . . ما اتفقناش أبدا . . هم كانوا بيفكروا بعقلية ، واحنا كنا بنفكر بعقلية احنا كنا بنقول نريد للفلاح أن يتملك حتى يكون حر ويستطيع انه يقول أيوه أو لا طالما هو يتملك الأرض يشعر بحريته . . والمحرية مش معناها بأى حال من الأحوال برلمان وقبة برلمان وشعارات وديموقراطية ولكن الحرية هي في حرية الفرد اذا استطاع الفرد انه يقول لا سيبقى حر ... لكن الفرد اللي ملازم للأرض واللي ملازم للاقطاعي واللي بيشتفل في الأرض مع الاقطاعي زيه زي البهايم اللي موجودة عنده لا يمكن بأى حال من الأحوال أن يشعر بالحرية ولا يمكن الا أن يكون تابعا للاقطاعي وتابعا لصاحب الأرض يسير وفق هوى صاحب الأرض وليست لارادته أي قيمة .

« رفضوا هم تحديد الملكية التى طلبناها . . رفضوا ان يعودوا الى الحكم على أساس تحديد الملكية طبعا احنا كنا نصمم على تحديد الملكية وكان الأمر بالنسبة لى فى هذه الايام غريب كل الغرابة ولكن بعد كده طبعا تبينت أن العملية لا تحتاج الى غرابة مافيهاش الفاز ومافيهاش عقد بأى حال من الأحوال ازاى الواحد يعقسد يتفاوض مع الاقطاعي وصاحب الأرض عاشان تحديد الملكية ويطلب منه صك فى اخد أرضه وتوزيع أملاكه . . وكان حزب الوفد اللى فى هذا الوقت حزب يمثل طبقة من ملاك الأرض . . من طبقسة الاقطاعيين وده الطبيعى انهم يرفضوا الوضع الغير طبيعى . . انهم يقبلوا الوضع الطبيعى انهم يرفضوا هذا الكلام . . واحنا فطنا يقبلوا الوضع الطبيعى انهم يرفضوا هذا الكلام . . واحنا فطنا وكان الخر الى أن احنا كنا بسطاء جدا حينما طلبنا من الاقطاع وكان

عندنا ثقة كبيرة فيهم حينما طلبنا من الاقطاع أن يقبل بنفسه أن يوقع صك القضاء على الاقطاع وتحرير الأرض وتحرير الفلاح لأن معنى هذا حتى من الناحية السياسية القضاء على الحزب نفسه لأن الحزب كان بيعتمد على الاقطاعيين ٠٠٠ وكان بيعتمد على النفوذ الاقطاعي ٠٠٠ والاقطاعيين في كل دائرة وفي كل مديرية في هذا الوقت كانوا بيعتمدوا على الفلاحين اللي بيشتغلوا عندهم ٠٠٠ انهم يدوهم اصواتهم ٠٠٠

« بعد كده كان لابد لنا أن نأخذ خطوة حاسمة فى الموضوع . . . وأصبحت معركة قانون الاصلاح الزراعى فى أول الشورة وكلكم تعرفوا . . أصبحت معركة عنيفة لأن فى الوقت اللى احنا كنا بنتكلم والوقت اللى احنا كنا بنتفاوض كانوا أصحاب الأرض بيعملوا رابطة . . كان رئيس الحكومة فى هذا الوقت يعطف على أصحاب الأرض . . كان مجلس الوصاية ايضا فى جانب أصحاب الأرض . . وعقدت هنا فى مجلس الوزراء اجتماع مع مجلس الوصاية من أجل اقناعه بقانون الاصلاح الزراعى . . ولكن أيضا مجلس الوصاية المناع مع الزراعى . .

« ولم يكن الاصلاح الزراعى فى ذلك الوقت هو الشورة الاجتماعية ولكن الاصلاح الزراعى فى ذلك الوقت كان دليلا على الحاجة للثورة الاجتماعية وعلى الالحاح فى طلبها .

(د اجتمع مجلس الثورة بعد كده وقرر اقالة الوزارة المدنية الموجودة التى كان يراسها على ماهر واقامة وزارة اخرى تنفيد قانون الاصلاح الزراعى واقيات الوزارة ونفيد فانون الاصلاح الزراعى .

« بتنفيذ قانون الاصلاح الزراعى . . مرينا فى معركة تدل على صعوبة الثورة الاجتماعية . . النورة السياسية اسهل بكثير من الثورة الاجتماعية . . وزى ماقلت داوقتى لم تكن الثورة الاجتماعية

بأى حال من الأحوال هى قانون الاصلاح الزراعى ولكن قانون الاصلاح الزراعى . كان تعبيرا عن الالحاح وكان تعبيرا عن الحاجة الى هذه الثورة الاجتماعية وكان تعبيرا عن آمال الفلاح وكفاحه الطويل من أجل التحرر من ربقة الاقطاع .

« بعد كده دخلنا في معارك مستمرة بدانا اول معركة من اجل تنفيد الهدف الأول من اهداف الثورة . . القضاء على الاستعمار واعوائه . . والقضاء على الاستعمار واعوائه معناه ان ندخل مع الانجليز معارك مستمرة سواء في الناحية السياسية أو في منطقة القنال اذا دعا الأمر الى حرب العصابات دخلنا معارك مع الانجليز من أجل الجلاء . . دخلنا معارك مع الانجليز من أجل الجلاء . . دخلنا معارك مع الانجليز من أجل الهستقلال .

« كان ايه موقف الرجعية واحنا نجابه الانجليز سواء في الناحية السياسية أو نجابههم في منطقة القنال .

« الرجعية كانت دائما متخوفة . . الرجعية كانت دائما تعتقد ان المساومة هي السبيل الوحيد للحصول على اتفاق او بأى طريق كان من الانجليز . . والثورة الأصيلة لا يمكن بأى حال من الاحوال ان تعرف المساومة .

* * *

وانا اذكر من اول ايام الاتفاق مع الانجليز والحملات اللى بدات على الانجليز وانا شفت الناس اللى كانوا بيتعاونوا مع الانجليز شفت واحد . . شفت عبود مثلا . . عبود كان بيقول لى يعنى انت صغير يلا جمال بيه انت مش عارف الانجليز ابدا . • الانجليز دول بيدوخوا الدنيا ازاى احنا حانقف قصاد الانجليز واذا كنت بتتفاوض مع الانجليز ال من النجليز الى كسبوا الحرب العالمية الثانية . . الانجليز اللى سووا . . الانجليز اللى سووا . . الانجليز اللى سووا .

« اذن الواقع اللى كان موجود فى بلدنا أو التاريخ اللى كان موجود فى بلدنا كان له اثر ، السياسيين الآخرين كانوا بيعتبروا ان منطق المساومة هو المنطق المطلوب » .

« كانت الرجعية لغاية هذا الوقت تعتقد ان السفير الانجليزى أو الامريكانى يستطيع انه يؤثر أو يستطيع انه يكون له دخل فى الوزارة . . وكلنا نعرف قبل الثورة كل شهرين ثلاثة كانت بتيجى وزارة ويوم السفير البريطانى ما الغى ميعاده مع على ماهر قبل الثورة بست اشهر سقطت الوزارة » .

« كانت الرجعية لا زالت متشبعة بهده الروح وكانت الرجعية لا زالت تجد في الانجليز حماية لها وحماية لسبطرتها . الا انه باستمرار في الماضي كان الانجليز يحمون الرجعية ويعتبرون الرجعيين اصدقاءهم الطبيعيين وهم رجالهم » .

* * *

يروى الهندس سبيد مرعى بعد ذلك حكاية الاستيلاء على الأرض فيقول (١):

فى ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٥٢ وقع وزير الزراعة ١١٢ رسالة وجهها الى مثل هذا العدد من الملاك الذين قررت اللجنة العليا الاستيلاء على اازائد من أراضيهم .

وتعد هذه الرسالة التي تحمل رقم ١ في ملف الرسائل وثيقة تاريخية وهذا نصها:

السبيا

تنفيذا للمادة ١ ، ٢ ، ٣ من قانون الاصلاح الزراعى رقم ١٧٨ لسنة ١٩٥٢ قد قررت اللجنة العليا للاصلاح الزراعى أن تستولى على المساحة التي حددها القانون من أرضكم .

وقد انتدبت اللجنة السيد مندوبا عنها للتعرف على المنطقة ومعاينة الأراضى . سواء أكانت مؤجرة أو منزرعة

⁽١) كناب الاصلاح الزراعي في مصر

هلى الذمة وذلك حتى يتسلم من اللجنة الفرعية محاضر الحصر، والتقدير التى حددتها المادة ١٢ من هذا القانون .

واننا نهيب بوطنيتكم أن تقوموا بتسهيل مهمته ومعاونته في العمل على زيادة الانتاج ، أذ أننا في عهد يجب أن تتضافر فيه الجهود لزيادة انتاجنا القومى والمحافظة على الثروة الزراعية . وتفضلوا بقبول فاعق الاحترام »»

وفي الساعة الثالثة من صباح هذا اليوم ، وكانت انوار الفجر قد بدت في الأفق انطلق من ديوان وزارة الزراعية في الدقى ٢٢ شخصيا يحمل كل منهم اسم منطقة من مناطق الجمهورية وبيانا بالأراضي التي يتضمنها قرار الاستيلاء ويحمل معه أيضا شيكا على البنك الأهلى .

اما هؤلاء الأشخاص فهم مندوبو الحكومة الذين وقع الاختيار عليهم ليحملوا راية الاسلاح الزراعى وليضطلعوا بتفيذ القانون كل في المنطقة التي وكلت اليه .

اما المناطق فقد حددت بحسب الأراضى التى تتجاوز قطعها بقدر الامكان وتتراوح مساحتها بين الفى فدان وعشرة آلاف وكان بعضها غريبا فى تكوينه ، ففى احدى مديريات الصعيد مثلا امتدت منطقة احد المندوبين عشرات من الكيلو مترات كان عليه أن يزرعها ويستولى على قطعة منها يفصلها عن الأخرى سفر ساعة وثالشية بفصلها عن هذه مسيرة ساعات . . وهكذا .

اما الشيك الذى زود به كل مندوب من هؤلاء 6 كان يعتمد عليه فى مواجهة اية صعوبة فكان بمبلغ يدهش له الناس اليوم اذ كان شيكا بخمسين جنيها . . وذلك لأن وزارة المالية لم تصرح فى ذلك الوقت باكش من ١١٠٠ جنيه لتنفيذ مشروع الاصلاح الزراعى .

واذا قورن هذا المبلغ بميزانية العام الاول بعد تمامها ، والتي

تضمنت ارقاما تقدر بملايين الجنيهات فسيستولى على المرء العجب لهذا الابتداء المتواضع كل التواضع .

سافر مندوبو الحكومة يتحسسون طريقهم الى مناطقهم حتى اذا ما وصلوا اليها وجدوا امامهم مشاكل لا بد لها من حل عاجل ، فعشرات من ماكينات الرى توقفت لأن عطلا مفاجئا قد أصابها او لأن المالك اخطر شركة البترول التى يعاملها بأنه اقفل حسابه معها بعد الاستيلاء على الأرض ، هذا الى أن الوف الفلاحين من المستأجرين اخذوا يطالبون بالسماد والبذور ونفقات الحرث والرى بعد ان توقف الملاك عن امدادهم بما يريدون ، والموسم الزراعى حل فعلا ولا سبيل الى انتظار أو امهال وعمليات التأجير تحتاج الى موظفين ودفاتر وعقود ومواصلات ومعاينات .

وفى وسط هذا الخضم بحث مندوبو الحكومة فى جيوبهم فلم يجد الواحد منهم غير الخمسين جنيها التى اخذت تتبخر فى دقائق وبقى الحال كما هو فلم تصلح ماكينات الرى بالمنطقة ولم يصل الديزل والسولار اليها ، ولم تتحرك عصا الساحر لتحضر السماد والدور .

وامطرت القاهرة بوابل من البرقيات وصلت جميعها وكانها كانت على ميعاد وصيغت في عبارة واحدة تطلب البذور والتقاوى والسلف او المصاريف النقدية .

كانت الهيئة التنفيذية تتألف فى ذلك الوقت من ثلاثة أقسام . قسم يتولى سكرتارية اللجنة العليا ، ويتلقى ذلك السيل من المشاكل لينسقها ويعرضها ويحصل على حلولها ، وقسم يستولى على الأرض الزائدة ، وقسم يدير المزارع ويشرف على تأجيرها .

وقد لجأت الهيئة التنفيلية الى بنك التسليف الزراعى تطلب منه أن يسعف المندوبين بحاجتهم . . ونظر البنك فى دهشــة الى - هؤلاء الذين طلبوا منه أن يقرضهم مئات الألوف من الجنيهات وسال

اذا كان لديهم من الضمانات ما يجعله يطمئن ولما لم يجد لديهم شيئًا . . صرف النظر عنهم .

ثم لجأت الهيئة التنفيذية الى مصلحة الوقود فى مد ماكينات الرى فى اراضى الاصلاح بحاجتها من الوقود ، فنظرت مصلحة الوقود فى دهشة الى هذا الطلب الذى لم يصحبه نفاصيل الاستهلاك السابق واللاحق ولا ماركات الماكينات ولا عمرها . . الى آخر هذه التفاصيل التى تحتاج الى سنوات لاعدادها .

وام يقف الامر عند ذلك بل لجأت الهيئة التنفيذية الى مصالح حكومية اخرى لتدبر لها قطع الغيار ومعدات النقل فى المزارع وغير هذا نذاك مما تتطلبه ادارة العمل ، وهزت المصالح الحكومية رؤوسها آسفة لان هذه الطلبات لم تستوف اجراءاتها الروتينبة ، واهم ركن لم تستوفه منها أنه لا يوجد بند فى الميزانية يسمح بصرف هذه الطلبات منه ، . على فرض قبولها .

كل هذا لم يثن من عزم الهيئة فلجأت الى ديوان الموظفين تستأذنه في تعيين العدد اللازم من المنتشين والنظار والكتبة الذين لا بد لمندوبي الحكومة منهم للاشراف على هذه المساحات الواسعة من الأرض ، والتي يجب أن تؤجر فورا لحوالي ستين أو سبعين الله مستأجر ، فقال أنه لابد أن يسبقه اعتماد في الميزانية وربط درجات لهذه الوظائف .

ولما ارادت الهيئة التنفيذية أن تعتمد على هذه المبالغ في تسميمر أمورها عجبت المالية من جهل الهيئة التنفيذية ، وقالت أن المبالغ المحصلة قد أدرجت في أيرادات الدولة ولا سبيل الى الصرف منها الا بقانون .

وتواضع الاصلاح الزراعى وطلب من وزارة المالية بعض دفاتر ومساطر واقلام رصاص يستعملها المدوبون فى قيد ما يحصلون عليه من اموال الايجارات حتى يصل الصرف على الاقل ، وأعربت المالية عن اسفها مرة أخرى لعدم استطاعتها استجابة هذا الطلب لأنها لم تحسب له حسابات عندما وضعت ميزانية الادوات الكتابية ه

والذى زاد الأمور شدة وتعقيدا أن كثيرا من الملاك لجاوا الى مجلس الدولة والى المحاكم العادية يطلبون الفاء قرار الاستيلاء على أراضيها متذرعين بشتى الحجج . . ألم يقل القانون أن الملكيات التى تخضع للاستيلاء فى العام الأول تكون أكبر الملكيات ، وفي العام الثانى التى تليها فى المساحة وهكذا . وهذا المالك أو ذاك يرى أن ما استولى عليه من أرضه يقل فى مساحته عن أرض زيد أو عمرو . . واذن فليلجأ الى القضاء ولتكف يد الاصلاح الزراعى عن الاستيلاء على أرضه هو .

وهكذا نبتت عشرات المشاكل وعشرات الدعاوى •

وبدا في وقت من الأوقات أن الصعوبات المتكاثقة من الضخامة بحيث يميد تحتها قانون الاصلاح الزراعي مهما بدت الحاجة اليه مأساة . مقاومة من الروتين الحكومي . . ا

مقاومة بعض الملاك ...!

مقاومة من الظروف الكثيرة التي أشرنا الى بعضها ولم نشر الي البعض الآخر ..!

واهم مثال الدلك أنه لا يوجد سجل عينى لأرضنا الزراعية يثبت تطور الملكيات الزراعية ، اذ أن كثيرا منها يثبت بأسماء الجدود ولم تدون التصرفات التالية لذلك .

ولكن الذين شرعوا قانون الاصلاح الزراعى كانوا يؤمنون به ايمانا لا تزعزعه الصعوبات مهما نكاتفت ، والقانون اجراء ثوري

ترتب على حركة الجيش وتفيرت من أجل صدوره وزارة . .، وما كان يمكن للذين أصدروه أن يتركوه يهوى على الصورة التي بدت كآبتها في الظاهر .

وهنا اخذت حكومة الثورة على عاتقها مهمتين:

الأولى: الخروج بالاصلاح الزراعى عن دائرة الروتين الحكومى وذلك باصدار القانون رقم ١٣١ لسنة ١٩٥٣ ، وتعديل المادة ١٢ والمادة ١٣٠ .

الثانية : عمل كل شيء للمحافظة على الانتساج وتخطى جميع العقبات التي قد تؤثر التغافل عنها في محصول هذه المزارع المستولى عليها .

وبدا التنفيذ . . فضمنت الحكومة الاصلاح الزراعى لدى بنك التسليف في مليون جنيه ، وأبيح للجنة العليا حق التعيين في وظائف الكتبة والنظار والمفتشين الزراعيين في حدود مرتبات معينة .

وكان الاعتماد المالى بمثابة النور الأخضر امام بنك التسليف الزراعى الذى اخذ يمون المناطق بحاجتها حتى بلغت قيمة ما سحب منه فى العام الاول ٦١١ الف جنيه .

وقامت اللجنة العليا بتجربة الاعتماد على وطنية بعض كبار الملاك في هده الفترة المحرجة ، فنجحت التجربة وانتصرت الصلحة القومية على كل اعتبار آخر ، اذ ظل بعض الملاك الكبار ينفقون على الارض المستولى عليها حتى وصل حساب الوقود وحده لجملة ملاك الم.

وقد صدر قرار بالاستيلاء على الماكينات الزراعية للرى وغيرها من الماكينات اللازمة لأعمال الزراعة ، ثم صدر قرار بالاستيلاء على قطع الغيار التي حبسها البعض في مخازنهم .

وأنشئت لجنة قضائية برياسة مستشار وعضوية مندوبين من مجلس الدولة ٤ والشهر العقارى والمساحة والاصلاح الززاعي للنظر

فى المنازعات التى تنشساً بين الاصلاح والملاك بسبب القسانون على الا تكون قراراتها نهائية الا بعد تصديق اللجنة العليا .

وهكذا حلت اللجنة العليا المشاكل الكبرى التى كانت تواجهها ونابت حقا عن الدوائر الزراعية الكبرى في الاشراف على مساحات الأرض المستولى عليها .

ولقد أخل خبراء الزراعة والاقتصاد في مصر والخارج يراقبون تنفيد خطوات المسروع ، واخد النقد يوجه اليه . . فمن قائل أن اللجنة العليا لن تتمكن من ادارة هذه المساحات الواسعة مؤكدا أن التوزيع سيكون تفتيتا للملكية وبالتالي سيؤدى الى انخفاض الانتاج ، ومن قائل أن المستأجرين لن يدفعوا ما عليهم من ايجاد أو ما اقترضوه من أموال ، وأن اللجنة لن تسلم السندات وفوائدها الى الملاك ، وزعم البعض أنه كان من الاسلم أن تترك الارض في حيازة الملاك اكتفاء بزيادة الضريبة المفروضة عليها . كل هذا والهيئة التنفيذية ماضية في عملها ليلا ونهارا تحت أشراف اللجنة العليا . ودارت عجلة الاصلاح دورتها دون هوادة لتعييد الحق الى أصحابه والارض لمستحقيها ، ومضت في حركتها لا تعرف الملل فحياة الصحابه والارض لمستحقيها ، ومضت في حركتها لا تعرف الملل فحياة الارض لا تعترف الا بالكفاح والمجهود المتواصل .

ولقد مر مشروع الاصلاح الزراعي بمراحل عديدة في تنفيد. فكان في تطور مستمر ينتقل من عملية الى أخرى يوما بعد يوم .

* * *

و ۱۰۰

بذلك انتهت ثانى معارك جمال عبد الناصر كانت معركته الأولى قيام الثورة ١٠ أما العركة الثانية فكانت أن يصبح الفسلاح مالكا للأرض التى رواها بعرقه ، وبدمائه هو وآبائه وأجداده ١٠ وظلت قضية تحرير عامل الترحيلة تشغله حتى مات ٠٠

وبدأت معركته الثانية ١٠ الجلاء ، وتطهير الوطن من الاستعمار، ١٠ ثم كانت معركته الثالثة ١٠ وهي ما أطاق عليه اسم صفقة الاسلحة .

اولى العاران. مع الاستعار

الزمان: شهر سبتمبر . . الشهر الذي شهد نهاية البطل ، وعلى وجه التحديد يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥ . .

المناسبة : افتتاح معرض القوات المسلحة . .،

الكان : ارض الجزيرة بالقاهرة . .

كانت المناسبة عادية جدا ، جمال عبد الناصر سيفتتح المعرض اللي اقامته القوات المسلحة وسوف يلقى خطابا فى الضباط ولكن الاستعداد للمناسبة كان غير عادى ، فقد دعى لحضور حفل الافتتاح حشد كبير من المراسلين الاجانب ، والصحفيين العالمين ، والعرب ، والصرين . .

وعندما التقى هذا الحشد الكبير من رجال الصحافة ، كانوا يتوقعون أن شيئا غير عادى يمكن أن يحدث ، وراحوا يعلنون توقعاتهم ، واكثرها طموحا كانت تقول أن عبد الناصر سدوف يعلن شيئا غير عادى حول مؤتمر باندونج الذى حضره رؤسماء دول آسيا وافريقيا في ١٩ ابريل من نفس العام . .

وبعضهم كان يتحدث حول شيء آخر ، هو اعتداء ٢٨ فبراين الذي قامت به اسرائيل مباغتة لقوات على الحدود ، واستشهد فيه ٢٩ من رجالنا المصريين والفلسطينيين ، وكان بداية لسلسلة

من الاعتداءات ، والعمليات الحربية ، وهو الاعتداء الذي ابلغت مصر، به مجلس الامن ، وقال عنه المجلس بأنه اعتداء مدبر ووحشى على جنود آمنين . . وهو نفس الاعتداء الذي شكر بن جوريون من اجله افراردا من الجيش الاسرائبلي ، وقال بعده أنه يريد فرض السلام ، واجبار العرب على الامر الواقع . .

هكذا كانت تدور المناقشة بين الصحفيين والراسلين الله ين وجدوا انهم قسد التقوا فجأة داخل معرض القسوات المسساحة بالجزيرة ، وقيل لهم ان جمال عبد الناصر رئيس الوزراء سيلقى خطابا هاما جدا . . .

كان عدد منهم قد التقى بجمال عبد الناصر ، في مناسسبة شميهة بتلك المناسبة . .

ففى ٣١ مارس تجمع عدد من المستفيين والمراسلين وسمعوا خطاب جمال عبد الناصر ـ قبل أن يلحب لتخسور مؤتمر باندونج _ في افتتاح الموسم الثقافي لرجال القوات المسلحة . .

وفى ذلك اللقاء كان حديث عبد النساسر عن القوات المسلحة ذاتها ، وعن بناء هده القوات حتى تستطيع ان تحمى مصر بعيدا عن الدخول فى احلاف عسكرية مع الغرب . . وبعيدا عن معاعدات الدفاع المسترك « لاننى اعتبر ان مصر فى وقتها الحالى يجب ان تتخلص من كل نفوذ اجنبى تخلصا كاملا ، حتى تستطيع أن تقف على أقدامها ، وبعد ذلك اذا وجدت مصلحتها أن تدخل مع أى دولة فى اتفاق دخول الند للند فانها ستدخل لتحقق مصلحتها ولا تدخل أبدا نتيجة لضغط ، لا تدخل وهى شاعرة أنها ليسنت قوية ، فنحن من الناحية الاقتصادية لسنا اقوياء » .

« ان المعونة الامريكية التي حصلنا عليها في العام الماضي وهي . . . مليون دولار قد وجهنداها لا على انهدا اساس من اسس الاقتصاد . بل الي بو حي الخدمات كشق العارق ، واصلاح

الموانى ، وجهناها الى تقصير المدة اللازمة لتوصيل المياه النقية الى القرى ، فنحن لم نبن عليها ابدا اقتصادنا القومى » .

« نحن اليوم وضعنا يختلف لأننا نمر بفترة حاسمة من تاريخنا ونعتبر أن هذه الفترة الحاسمة أذا لم توجه التوجيه السليم ، فلن نستطيع تحقيق هدف الثورة الخاص بالوصول الى مجمتع اشتراكى » يرتفع فيه مستوى المعيشسة ويقوى فيه الوطن اقتصاديا ، وانتاجيا » .

وقبلها كان جمال عبد الناصر يلح على هذه القضية ، فعندما عقد مؤتمرا صحفيا في كفر الدوار أثناء رحلته لتوزيع الأراضي على الفلاحين في ١٩ أبريل سنة ١٩٥٤ قال فيه « ان مصر ستعمل كل ما في وسعها لتقوية القوات المسلحة ، وتزويدها بالأسلحة الثقيلة برغم كل الصعوبات التي تواجهها في هذا السبيل » وأوضح ان الأسلحة الثقيلة لا يمكن الحصول عليها الا من اندول الكبرى ، وأن الدول الغربية الكبرى تمتنع عن تزويد مصر بهذا النوع من الاسلحة . .

وقبلها كان قد وضع ضمن المبادىء الستة للثورة « في مواجهة المؤامرات لاضعاف الجيش ، واستخدام ما تبقى من قوته لتهديد الجبهة الداخلية ، المتحفزة للثورة ، كان الهدف الخامس هو اقامة جيش وطنى قوى » .

* * *

فى الموعد المحدد حضر جمال عبد الناصر ، وبدا يتكلم ، وانفاس المندوبين الصحفيين ، والمراسلين مشدودة تنتظر الشيء الهام الذي توقعوه . . وبدأ عبد الناصر خطابه قائلا انه يتكلم الى الوطن كله ، واكد سياسة ثورة مصر المستقلة ، كله ، واكد سياسة ثورة مصر المستقلة ، البعيدة عن السيطرة ، المتخلصة من النفوذ الاجنبي ، ثم بدأ يشرح قصة تسليح الجيش . ، التي بدأت عقب الثورة مباشرة . .

« فحينما قامت الثورة التجانا الى كل الدول . . والتجانا الى كل ميدان من اجل تسليح هذا الجيش . .

« التجانا الى انجائرا ، والتجانا الى فرنسسا ، والتجانا الى أمريكا ، والتجانا الى باقى الدول من اجل تسليح الجيش . . من أجل السلام ومن اجل الدفاع ، فماذا أخذنا ؟ الحقيقة اننسا لم نأخذ الا مطالبات ، فقد أرادوا أن يسلح الجيش بعد أن نوقع على وثيقة ، وبعد أن نوقع على مواثيق . . واننا أعلنسا اذا أردنا أو صممنا أن نسلح جيشنا من أجل حريتنا ، ومن أجل شخصيتنا المستقلة . . من أجل حياة ثورتنا . . ومن أجل عزة وطننا . . ومن أجل كرامة مصر . . وأعلنا أننا لن نسلح الجيش على حسساب أصتقلالنا . . اننا لن نسلح الجيش على حساب حريتنا . .

(وطلبنا السملاح ، فهاذا كانت النتيجة ؟ كانت النتيجة المنافقة الخواني قصة طويلة . . قصة مريرة . . وانني اذكر في همذا الوقت . . اذكر وانا اتحدث اليكم اننا في بعض الأحيان قد ارقنا ماء وجوهنا . . ولكنا لم نتخل أبدا عن مبادئنا . . اننا ارقنا ماء الوجوه . . ونحن نطلب السلاح ، ونحن نستجدى السملاح ، وكننا في نفس الوقت صممنا على المحافظة على المبادىء . . وصممنا على أن نحافظ على مثلنا العليا وماذا كانت النتيجة ؟ لم نستطع أبدا يا اخواني أن نحقق هذا الهدف الأكبر الذي قامت هذه الثورة من أجل تحقيقه وهو اقامة جيش وطني قوى . .

«فان فرنسا كانت تساومنا دائما ، تساومنا على شسمال افريقيا . . وتقول لنا دائما اننا نعطيكم السسلاح على شرط الا تنتقدوا موقفنا في شسمال افريقيا . . على شرط ان تتخلوا عن عروبتكم ، على شرط ان تتخلوا عن انسانيتكم . على شرط ان نرى المذابح التي تحدث في شمال افريقبا ونسكت عليها ، ونفمض العين عن عروبتنا ، وكيف نتخلى عن انسانيتنا ؟ اننا لا يمكن أبدا ان ننفسل عن عروبتنا ، واننا لا يمكن أبدا ان ننفسل عن عروبتنا ، واننا لا يمكن ان ننفسل عن انسانيتنا ، واننا لا يمكن اندا ان ننفسل عن انسانيتنا ، واننا لا يمكن ان ننفسل عن انسانيتنا ، واننا لا يمكن ان ننفسل عن انسانيتنا ، واننا لا يمكن ان انفسل عن انسانيتنا ، واننا لا يمكن ان انفسل عن انسانيتنا . و انتفال المنانيتنا ، و انتفال المنانية المنانية

« ولكن امداد فرنسا لنا بالسلاح كان دائما سيفا فوق رقابنا ، وكنت دائما يا اخواني اهدد بقطع السلاح ، وكنت دائما يا اخواني اهدد بتموين اسرائيل بالسلاح مع قطع السلاح عن مصر . . .

« هذه هي قصة فرنسا ٠٠ واقول لكم الآن قصة امريكا ..

منذ قامت الثورة ونحن نطالب بالسلاح . . ونحن نوعد بالسلاح وماذا كانت النتيجة ؟ كانت الوعود ، وعود مرتبطة بشروط ، نأخذ السلاح على اساس أن نوقع على ميثاق امن متبادل ، نأخذ السلاح على اساس أن نوقع على حلف من الأحلاف ، ورفضنا أن نوقع وثيقة الأمن المتبادل ، ورفضنا أن نوقع على حلف من الاحلاف ، ولم نستطع أبدا يا اخواني أن نأخذ من أمريكا قطعة من السلاح . .

« وماذا كانت قصة انجلترا ؟ كانت انجلترا تقول لنا انها مستعدة لتمويننا بالسلاح وكنا نقول لها اننا نقبل هذا شاكرين ، وماذا كانت النتيجة . . لقد مونتنا انجلترا بمقادير من السلاح لا تحقق هدفنا الذي قامت هذه الثورة من أجله ، وماذا كانت النتيجة أيها الاخوان ، كان الجيش المناوىء لنا يمون بالاسلحة من دول متعددة من العالم .

« أن جيش اسرائيل قد استطاع أن يأخذ اسلحة من انجلترا ، ومن فرنسا ، ومن بلجيكا ، ومن كندا ، ومن ايطاليا ، ومن دول أخرى متعددة ، وكان هذا الجيش يستطيع أن يجد دائما من يمونه بالسلاح . . وكنا نحن نقرا في الصحف الأجنبية ، سواء في الصحف الأمريكية أو الصحف الفرنسية أن جيش اسرائيل يستطيع أن يهزم الجيوش العربية مجتمعة . . وقد قرات في الشهون الماضي يا اخواني كثيرا من المقالات تحمل هذا المعنى : أن جيش اسرائيل يستطيع أن يهزم مصر ، أن جيش اسرائيل يستطيع أن المعزم مصر ، أن جيش اسرائيل يستطيع أن المعزم مصر ، أن جيش اسرائيل يستطيع أن المعزم مصر ، أن جيش اسرائيل يستطيع أن يهزم مصر ، أن جيش اسرائيل يستطيع أن المعزم مصر ، أن جيش اسرائيل يستطيع أن يهزم مصر ، أن جيش أسرائيل يعزم أن جيش أسرائيل يستطيع أن يهزم مصر ، أن جيش أسرائيل يهزم أسرائيل يستطيع أن يهزم مصر ، أن جيش أسرائيل يعزم أن جيش أسرائيل يعزم أن يهزم مصر ، أن جيش أسرائيل يعزم أن يهزم مصر ، أن جيش أسرائيل يعزم أن ي

يهزم العرب .. ان جيش اسرائيل متفوق في السلاح .. ان جيش اسرائيل متفوق في العتاد!

« هذا ما كانوا يقولونه في صحفهم فنقول لهم اذا كنتم تشعرون بهذا فلماذا تمنعون عنا السلاح . كنت اقول لهم هذا فماذا كانت النتيجة ؟ لقد تذرعت فرنسا بشعورنا نحو شمال افريقيس . ومنعت عنا السلاح وحينما رأينا هذا ، حينما رأينا هذا التحكم . وحينما رأينا هذا النغوذ الذي يتحكم فينا ، وفي رقابنا قررنا أن نطالب جميع دول العالم بأن تمدنا بالسلاح بلا قيد ولا شرط ، وقدمت هذا وأنا أؤكد لهم أن هذه الأساحة لن تستخدم في العدوان ، أن هذه الأسلحة ستستخدم في الدفاع ، أننا ليست لنا أية نوايا عدوانية . ولكن نوايانا نوايا سلمية . . أننا نريد أن يكون لنا جيش حر قوى مستقل ، يسند هذا الوطن في اهدافه الحرة المستقلة . . اننا نريد أن يكون لنا جيش قوى ، لا للعدوان ولكن للدفاع .

« قدمت هذا يا اخوانى باسم مصر الى امريكا ، الى انجلترا ، الى فرنسا ، الى روسيا ، الى تشيكوسلوفاكيا ، الى باقى الدول وانتظرت الرد فماذا كانت النتيجة » .

وظل المراسلون يسمعون القصة ، وهم يتعجلون نهايتها حتى قال عبد الناصر ٠٠

« وصلتنى ردود من بعض هذه الدول بأننى يمكن أن أسلح الجيش بالأسلحة ولكن بشروط ورفضت هذه الشروط . . فهذا هدف من أهداننا ، وقد قلت لكم أننا قد نستجدى السسلاح ، وقد نويق ماء وجهنا من أجل السلاح . . ولكنا أن نتخلى أبدا عن مبادئنا . .

 حاجتنا وحسب حاجة الجيش المصرى على أساس تجارى بحت ، وان هذا التعامل يعتبر كأى تعامل تجارى آخر ، فقبلنا في الحال هذا الاتفاق .

((ووقعت مصر في الأسبوع الماضي اتفاقية تجارية مع تشيكوساوفاكيا من أجل تمويننا بالسلاح ٥٠ وهمنه الاتفاقية تسوح لصر بأن تدفع الثمن منتجات مصرية مثل القطن ومثل الأرز وقبلنا هذا العرض شاكرين ٠٠

((واننا بهنا يا آخوانى نحقق هدفا من أهداف هذه الثورة وهو اقادة جيش وطنى قرى ، وأنا اليوم يا آخوانى وأنا أتكلم اليكم اشمر بالضعبة أثنى قامت هنا وهناك . . قامت ضعبة في لندن ، وقامت ضحبة في وأشنطن ، قامت هذه الضجة من أجل استورار النفوذ)) .

※ ※ ※

وعلى امتداد أيام الأسبوع التالى بعد هـذا الاعلان ، كان المراسلون والصحفيون يطلبون لقاءات مع جمال عبد النساصر ، ويلحون في مزيد من التفاصيل عن هذا الاجراء الذي وصفه جون فوستر دلاس وزير خارجية أمريكا عندما سمع به « بأنه اخطر اجراء منذ قيام حرب فيتنام » .

وكانت اجابات عبد الناصر تلقى مزيدا من الضوء على هــدا القراد . . .

حاولوا معرفة كمية الاسلحة فقال لهم ان ذلك سر عسكرى . . وحاولوا معرفة انواع الاسلحة فقال لهم ان نوع الاسلحة وكمية المواد التى سنتسلمها على وجه التحديد وبالضبط تعتبر سرا عسكريا . . وتبقى بعد ذلك جوانب من حكاية تسليح الجيش المصرى مكن أن تتضح من خلال ردود جمال عبد الناصر على أسئلة المراسلين الاجانب في الأيام التالية لهذا القراد .

التقى جمال عبد الناصر بمراسل محطة الاذاعة الاهايسة الأمريكية في ٣٠ سبتمبر وقال له :

« عندما بدأنا في البحث عن البلد الذي نحصل منه على أسلحة لتعزيز قوة دفاعنا ، كانت واشنطن أول عاصمة التجأنا اليها ، وكان ذلك بعد قيام الثورة بثلاثة أشهر ، في أكتوبر ١٩٥٢ . ودارت محادثات وطال مداها . .

« وبعد ذلك تلقينا وعدا رسميا من موظفين امريكيين مسئولين بتزويدنا بالأسلحة ، بل طلب منا قائمة بما نحتاج اليه ، أو بعبارة اصح الحد الأدنى لما نحتاج اليه . وقد أعددنا القائمة وأرسلناها الى واشنطن لعمل ترتيبات تسلم الأسلحة ، وظلت هذه البعثة شهورا عديدة في واشنطن ، وأخيرا عادت الى مصر خاوية الوفاض .

« وعلى الرغم من ذلك واصلنا محادثاتنا عن الأسلحة فتلقينا وعودا) لكننا لم نحصل على اسلحة . .

« وفى ٣٠ يونيو ابلغنا الأمريكيون انهم موافقون من حيث المبدا ، ولكن حتى يومنا هذا لم تجر بيننا مباحثات فى تفاصيل الأسلحة ، ولم تبد لنا أية احتمالات لاجراء مقايضة مع أمريكا ، ولم يكن فى الاستطاعة عمل أية ترتيبات بخصوص دفع نقود ، ولا يخفى عليكم اننا بحاجة الى كافة الموارد لبناء وطننا ، ورفع مستوى معيشة مواطنينا ، وليس لدينا عملة صعبة لاية أغراض أخرى ، وبالتالى عندما سعينا للحصول على الاسلحة كان لزاما علينا أن نحصل عليها بطريقة تناسبنا ، أى بالقايضة ، ففى مقابل الاسلحة نقدم قطننا ، أو منتجاتنا التى يمكن تصديرها » .

وفي اول اكتوبر التقى جمال عبد الناصر بالمستر توم ليتل المدير العام لوكالة الأنباء العربية وقال له :

ان بريطانيا وعدت أن تسد حاجتنا من السلاح بعد حل مشكلة القنال ، فاتصلنا بها من جديد بعد الاتفاق فتسلمنا منها

عتادا كانت مصر قد تعاقدت عليه قبل الثورة ، اما الولايات المتحدة فلم يأتنا منها شيء سوى الأقوال والوعود ، فهي لم ترفض تزويدنا بالأسلحة ، لكننا لم نتلق هذه الأسلحة منها ، على اننا عقدنا اتفاقا مع فرنسا ، فقد قلت للسفير الفرنسي في القاهرة انه ما دامت بلاده تزود اسرائيل بالسلاح ، فانه يجب عليها امدادنا به ايضا . وتم الاتفاق على ذلك ، ولكن فرنسا ألغت هذا الاتفاق منذ اسبوعين ، وكانت تريد دائما أن نتعهد لها لقاء اسلحتها ان نغض الطرف عن شمال افريقيا . انني طلبت السلاح من روسيا نغض الماضي انه اذا لم يزودني بلداهما بالسلاح فانه يجب الحصول عليه من روسيا » .

وفى نفس اليوم التقى عبد الناصر بمراسل جريدة التايمز ف انقاهرة ، وجاء في حديثه:

- ان الشعور بعدم الاطمئنان قد ازداد في الشهور الأخيرة ، ووجدت مصر انها لا تستطيع ان تعتمد على عون اجنبى ، وقد اقتنعت بأن من الضرورى ، أن أدافع عن نفسى ، وعن شعبى دون الاعتماد على تصريح أو بيان ، ولهذا سعت مصر للحصول على اسلحة .

وفي اليوم ذاته اول اكتوبر نشرت جريدة الديلي ميلي حديثا للرئيس جمال عبد الناصر جاء فيه:

ــ ان صفقة الأسلحة التي عقدتها مصر ليست لها علاقة بما على مصر من التزامات بمقتضى الاتفاق المصرى البريطاني بشأن الجلاء وانه ليس للاسلحة التي ستحصل عليها مصر من تشيكوسلو فاكيا أية علاقة بسلامة قاعدة القنال .

• وفي يوم الاحد ٢ اكتوبر القي جمال عبد الناصر خطابا في

حفل تخريج دفعة اكتوبر ١٩٥٥ من طلبة الكلية الحربية قام فيه :

- ان المخابرات المصربة استطاعب ان تحصل على وثيقسة رسمية فرنسسية تقول أن أمريكا وأن انجلترا تمدان أسرائيل بالسلاح ، وتقول الوثيقة الفرنسية ان اهم معدات القوات العسكرية الاسرائيلية مصدرها أمريكي بريطاني ، وها هي على سبيل المثال بعض المعدات التي حصلت عليها اسرائيل من يريطانيا: ٢٠ طائرة ميثور ، . ٥ طائرة موستانج ، ٢٠ طائرة موسكيتو ، ٧ طائرات نقل ، و ١٠٠ عربة مصفحة شرمان ، و ١٥ عربة مصفحة تشرشل ، ١٠٠، مدنع عربة فاج هاون ، و ٧٠ مدفع ميدان ، وقالت أيضا هذه الوثيقة الرسمية الفرنسية أن هناك صفقات تعقد بين بريطانيا واسرائيل لبيعها طائرات ميتور ، ودبابات من طراز سنيتوريون ، وقالت أن أمريكا سلمت من جانبها إلى اسرائيل ١٢ طائرة ب.ت ١٧ ، هذا ما حوته الوثيقة الفرنسية ، وهي طبعا لم تحو ما سلمته فرنسا نفسها إلى اسرائيل ، وقد قرآنا في الاسبوع الماضي في احدى حرائد اسرائيل وهي حريدة دافار على وحه التحديد أن فرنسا تعاقدت مع اسرائيل على أن تسلمها ١٠٠ دبابة وتعاقدت أيضا على أن تسلمها عددا من طائرات المستير النفاثة » .

وق حدیث مع مراسل جریدة النیویورك تایمز ف ۱٦ اکتوبر سنة ۱۹۰۰ قال عبد الناصر:

- الآن تعاقدت الصين معنا على شراء ما قيمته عشرة ملايين من الجنيهات من فائض محصول القطن ، وهى تدفع ٨٠٪ من قيمة المستريات بالدولار ، و ٢٠٪ من فائض محصولنا من القطن للكتلة الشرقية ...

وقام الرئيس بقسراءة أجزاء من صحف الولايات المتحدة احداها «الهيرالد تربيون» وكانت تقول بأن اسرائيل تستطيع انتهزم العرب ما لم يتسلموا اسلحة من الكتلة السونيتية وقال هكذا لم نش

ضجة عن مزايا اسرائيل الحربية عندما نشر ذلك ، ولكننا عندما اخلنا بنصيحة « الهيرالد تريبون » لاعادة التوازن في الاسلحة حدثت ضجة ضخمة ضدنا في الولايات المتحدة » .

وفي حديث لمندوب وكالة أنساء يوناتيدبرس في الشرق الأوسط في ١١ اكتوبر قال عبد الناصر:

_ ان الاتفاق التشيكوسلوفاكى المصرى لا ينطوى على اى نص كتابى أو شفوى بشان هذه المسألة ، وستستخدم الأسلحة المستراه للدفاع فقط ضد اى هجوم على أراضينا .

وفي حديث نشرته صحيفة نيويورك بوست الامريكية يوم ١٤ اكتوبر ١٩٥٥ للرئيس جمال عبد الناصر قال :

_ ان مصر ستمضى فى تنفيذ تعاقدها بشأن صفقة الأساحة مع تشيكوسلو فاكيا لأن من واجب مصر أن تحصل على الأسلحة لتدافع عن نفسها ضد اسرائيل . .

وهسكذا كانت تركز صحف الغرب ، ووكالات الأنباء على هـذا الحدث الخطير الذى قلب موازين القوى في الشرق الأوسط . . .

كل هذه كانت مقدمة للحكاية السياسية التى احدثت تحولا جدريا في علاقتنا لأول مرة مع الكتلة الشرقية .. فما هي الحكاية ..

لننقل الحكاية الكاملة عن الكاتب الامريكي روبرت سان جون في كتابه عن الرئيس الذي ترجمته هيئة الاستعلامات ترجمة خاصة .. ونحن نختار من بين التفاصيل العديدة التي عرضها الكاتب كامريكي متعصب فقط الفقرات التي تساعد على توضيح حكاية صفقة الاسلحة ، آخذين في الاعتبار أنها تروى من وجهة نظر دجل

أمريكى متعصب لبلاده ، ولكنه لم يستطع في كثير من الاحوال الا ان يعترف بالحقيقة انصافا لجمال عبد الناصر يقول روبرت سانجون:

فى يوم من ايام شهر ابريل استقل الوفد المصرى طائرة هندية متجها نحو الشرق وحين توقفوا للمرة الثالشة ، فى رانجون حدث شىء لم يعرفه أحد الا بعد ذلك بعدة أشهر ، فما أن التقى ناصر بشواين لاى حتى اتخذ ناصر قرارا وسأل شواين لاى ـ عن طريق المترجم ـ بينما لم يكن أى فرد آخر يسمع:

« هل تظن يا سيادة رئيس الوزراء أن الروس سيوا فقون على أن يبيعوننى السلاح أذا طلبت منهم ذلك ؟

فابتسم شواين وأجاب بسرعة :

هل يسمح لى سيادة رئيس الوزراء أن أجس نبضهم في ذلك الموضوع . اننى لا أعتقد أنهم سيرفضون .

وكان السفير الروسى فى القاهرة دانيل سولود الذى عاش عدة سنوات قبل ذلك فى لبنان وعرف قليلا من الجمل والالفاط العربية ، قد نجح فى عقد اتفاق للتبادل مع المصريين ، الآلات والسواد الكيمساوية فى مقابل القطن والقمح ومن المحتم إن تكون له علاقة إيضا بتعاقد كبير أبرم مع ألمانيا الشرقية وكذلك بمذكرة كانت موسكو قد أصدرتها فى أوائل العام معلنة أن روسيا لن تقف مكتوفة اليدين اذا أقيمت قواعد عسكرية فى الأراضى العربية تحت اسم حلف بغداد مى

و بعد عودة عبد الناصر من باندونج بوقت قصير حضر حفل استقبال ديبلوماسي كان سولود موجودا فيه وما ان راى سولود رئيس الوزراء حتى اسرع يقابله وسط الحجرة وحياه بحرارة وانتحى به في ركن خال وقال:

ـ هل أنتم تهتمون بصفقة الاسلحة من الاتحاد السوفيتى ؟ اذا كان الأمر كذلك فانى أود أن أخبر موسكو فورا بذلك .

وابتسم ناصر وفكر بينه وبين نفسه ، لقد كان شواين مشفولا عندما تحدث معه عبد الناصر في رانجون كلاما عابرا ، ولم يعطيه كلمة نهائية ، كان مجرد سؤال طرحه بسرعة وسط حديث عابر ومع ذلك قال عبد الناصر بصوت مرتفع وكانه يسمع الاقتراح لاول مرة:

- ان أهمية الافتراح تبدو بالنسبة لى عظيمة جدا وانى على استعداد في البدء في محادثات لهذه الغانة .

واخبر سواود موسكو وبدات المباحثات ..

ثم وسل ديمترى شبيلوف وهو شخص طويل مترهل وكان يعمل رئيسا لتحرير جريدة «برافدا» وصل الى القاهرة ليحضر الاحتفالات السنوية بعيد الثورة الثالث وعومل خلال خمسة أيام على أنه رئيس تحرير جريدة أجنبية هامة ولا شيء أكثر من ذلك وجلس فى كرسى مناسب فى حجرة الصحافة فى احدى الامسيات ينصت الى خطاب دام مدة ساعتين ونصف الساعة القاه رئيس للعتاد والاسلحة البريطانية والفرنسية والأمريكية وبعد ذلك للعتاد والاسلحة البريطانية والفرنسية والأمريكية وبعد ذلك فاروق الى منفاه ، وهناك التقى بمسئول وشكا له بمرارة من فاروق الى منفاه ، وهناك التقى بمسئول وشكا له بمرارة من الماملة التى يلقاها ونوه له بأنه لم يأت ليشاهد العروض ويستمع الى الخطب بل ليسلم رسالة الى رئيس حكومة مصر الذى الم يقدمه احد اليه حتى الآن .

وأخيرا في ٢٧ يوليو قابل عبد الناصر وقال له في معرض الحديث: ـ ان ما جئت لاخبرك به هو أن الاتحاد السوفيتي على استعداد لأن يعطيكم كل ما تطلبونه من السلاح . وبعد ذلك بشهور تم توقيع الاتفاق بالفعل سرا في يوم الاحد الرابع والعشرين من شهر سبتمبر عام ١٩٥٥ ، وفي يوم الاننين اتصل عبد الناصر تليفونيا بالسفير الأمريكي واخبره بما حدث وفي ذلك اليوم نفسه طلب السفير البريطاني مقابلة عاجلة مع رئيس الوزراء وعندما وصل مرتبكا قليلا ، قال انه عرف بدلك الخبر من الأمريكيين وسأل جمال عبد الناصر قائلا :

_ هل ذلك سحيع حقا لا

فأجابه عبد الناصر : لقد عقدنا اتفاقا تجاريا تماما .

وفى يوم الثلاثاء اعلن هذا الانباء فى المعرض العربى وكان رد فعل واشنطن سريعا ، واعتلى جورج الن وكيل وزارة الخسارجية لشئون الشرق الأوسط ، اول طائرة الى القاهرة ، وعندما نشرت هذه الانباء كتب احد رجال الصحف المصريين ((فى الأيام السائفة كنا نحبوا على بطوننا الى واشنطن ، والآن تحبو على واشنطن على بطنها الينا))

وحين كان الن فى طريقه اعتبرت واشنطن ان ما سمعته هو عن الشحنة التشيكية التى تتكون من مائتين او ثلاثمائة طائرة ميج - 10 و 70 قاذفة قنسابل متوسطة ومائة او مائتى دبابة ستالين ، وست غواصات وعدة حمولات من المواد الخام الصغيرة.

وعندما وصل الن ذهب مباشرة الى السفارة الأمريكية لنقديم تقريره وحددت مقابلة مع عبد الناصر فى الصباح التالى ووصل الن يصحبه السفير الأمريكي قبل الموعد المحدد بوقت قسير ، واتظرا نصف ساعة ثم سألا عما اذا كان رئيس الوزراء قد احيط علما بوصولهما ، وكان رئيس الوزراء قد علم بوصولهما فعلا مانتظرا ساعة ثم سألا السكرتير عما اذا كان قد حدث اى خطا ،

لم يكن هناك أى خطأ فقد قال لهما السكرتير: « أن رئيس الوزراء يعرف انكما هنا ».

ومضت ساعة ونصف ساعة قبل أن يسمح لهما بالدخول وأعطيت للصحفيين عدة أسبباب مختلفة لتفسير ذلك التأخير وقالت السفارة أن رئيس الوزراء كان ينتظر أيضاحا من ممثله في الأمم المتحدة في نيويورك عن نقطة معينية تدخل في السئلة وأوضح الن بعد ذلك قائلا أن رحلته لم تكن تتعلق بشحنة الأسلحة التشبيكية على الاطلاق وقال آخرون أن تأخير الميعاد كان يرجع الى سوء في القيم .

وبعد مضى اربع سنوات من ذلك صرح احد الرسميين المصريين قائلا: « هذا هو أحد الموضوعات الذى لا يقدر أحد غيرنا فقط أن يتحدث عنه لانه ليس هناك أى فرد في العالم يعرف لماذا فعلنا شيئا ما الا نحن فقط ، لقد جعلنا مستر الن ينتظر لاننا كنا قد سمعنا أنه أحضر معه من واشنطون رسالة ساخطة وأنه كان ينوى أن يضرب المائدة بيده ويلقى علينا محاضرة ولقد جعلناه ينتظر لكى نهدئه ، جعلناه ينتظر حتى قال أنه لن يقدم الرسالة التى ارسل لتسليمها (١) ه؛

ومهما يكن السبب ، فان النتيجة هي أن المثل الشخصي لرئيس الولايات المتحدة كان في موقف محرج أمام أنظار العالم ، لقد انتظرت مصر أجيالا كثيرة لكي تهين مثل هذه الدولة القوية جهارا ، والآن لقد تم توقيع الاتفاق التشيكي ، ويمكنها اذا ارادت أن تكون مستقلة في علو ،؛

⁽۱) أونسح عبد النامر هذه الواقعة في أجد خطاباته بعد ذلك وقال أنه كان مصرا على طرده لو أنه خرج عن حدوده ه

وفى ذلك الوقت كان عبد الناصر زعيم العالم العربى ، وكانالناس يدفعون المال الذى كسبوه بالجهد مقابل صوره التى يعلقونه فى محلاتهم فى عمان وبيروت ودمشق بل فى بغداد ، وكان رد الفعل ، هذا الذى جاء من العرب بأجمعهم ، علامة على حاجة هذا الشعب الى ما داب عبد الناصر على تسميته ((بالكرامة)) وربما لا تكونهذه هى الكلمة صحيحة فقد بدا اكثر انهم يريدون ان يردوا الضربات الى من جعلهم يشعرون بالضيعة .

ولم تحدد خطبة عبد الناصر التى القاها فى المعرض الحربى نوع المعتاد الذى ستحصل عليه مصر ، ولكن لم تكد تمضى اسابيع كثيرة حتى بدات السفن تصل الى الاسكندرية تحمل الوسائل الاولى مخبأة فى صناديق من الخشب وفى احد الايام سأله احد المحررين من نيويورك عن ١٣٨ صندوقا كبيرا رايت فى ميناء الاسكندرية .

فرد عليه عبد الناصر وهو فخور: « أن كل شحص يريد أن يعرف ما في هذه المائة والثمانية والثلاثين صندوقا ، ولكن ، قليل منا فقط هم الذين يعرفون ذلك ولن يعرفه أى شخص آخر . أن الجيش المصرى له أسرار يحتفظ بها لأول مرة في التاريخ » .

وفى غضون ذلك الوقت قام أربعة أعضاء من لجنة الممتلكات فى مجلس الشيوخ الأمريكى برحلة الى القاهرة وتحدثوا مع رئيس الوزراء لمدة ساعة ونصف ساعة وبينما كانوا يتركون مكتبه فى صحبة السفير الامريكى اذ اقترب منهم رجل قصير وهو فى وجوههم صندوقا لجمع النقود ، وساهم أعضاء مجلس الشيوخ الاربعة بأن وضعوا نقودا فى الصندوق ، وقلب السفير جيوبه الى الخارج لكى يثبت انه لا يملك نقودا فى ذلك الوقت ،

وفى اليوم التالى قالت احدى صحف القاهرة انها تقدم الشكر للامريكيين على كرمهم وعلى هذا البرهان الواضح بأنهم حقا يؤيدون

جمال عبد الناصر في خطته الحربية ، فقد كان ذلك اسبوع التسليح وكان المصريون يساهمون عن طيب خاطر مثلما فعل اعضاء مجلس الشيوخ الأربعة ليجمعوا مليونا من الدولارات ليدفعوها للحكومة التشيكية كقسط اول من ثمن الاسلحة .

وعقدت السفارة الأمريكية في القاهرة مؤتمرا سريعا لكى توضح أن أعضاء الشيوخ الأربعة ظنوا أنهم يساهمون لمساعدة أسرة الرجل القصير ، وأنهم لم يكونوا يعرفون أن هذا كان أسبوع التسليح .

ثم تلا ذلك بشهور زيارتان قام بهما ساوين لويد ، وزير الخارجية البريطانية ووصل فى المرة الأولى بعد أن عرفت انساء صفقة الأسلحة التشيكية ، لكى يعطى وعدا بأن الأسلحة الانجليزية ستبدأ فى التدفق على مصر مرة آخرى ، ثم اقترح وجود اتفاق ودى مع حلف بغداد . . تتعهد بريطانيا بأن لا تحاول ادخال أمضاء جدد من الدول العربية بينما تتعهد مصر أن توقف دعايتها المضادة لبريطانيا ،

ولكن ، بعد مضى أسابيع قليلة ظهر اواء بريطانيا في عمان عاصمة الأردن في بعثة هامة : مفاوضة الأردن في انضمامها لحلف بغداد ،

ومضت الشهور ثم جاء سلوين لويد مرة اخرى الى القاهرة وعومل بادب جاف ، واقيمت له حفلة عشاء رسسمية في قصر عابدين قال خلالها ؟

ـ تذكروا أن جلوب باشا ما زال هنا في الأردن م

ومرت فترة سكون طويلة قطعها اخيرا صسوت عبد الناصى الهادىء يقول ا

« لكن جلوب باشا كان فى الماضى ، هل لى أن أخبرك أن جلوب قد تنحى عن منصبه قبل أن تدخل حفلة العشاء الليلة بوقت قصير .

وكانت هــنه هى الحقيقة وكان الجنرال ســيرجون باجوت جلوب هو ضــابط الجيش الانجليزى الذى كان يتكلم العربية بطلاقة ويلبس ملابس البدو هو الذى نظم الفيلق العربي . وكان يروقه أن يناديه الغير بلقبه الذى حصل عليه وهو جلوب باشا وفى نفس هذا المساء كان رئيس وزراء الملك حسين قد استدعاه ومنحه مهلة ساعتين ليترك البلد الذى كان يدعى انه يحبه مثل وطنه .

وبعد أن رحل لويد عقد مؤتمر قمة ثلاثى عربى من الملك سعود ملك السعودية العربية ، والرئيس شكرى القوتلى رئيس جمهورية سوريا وجمال عبد الناصر الذى كان يراس المؤتمر ، وجلس الزعماء الثلاثة ومستشاروهم حول مائدة كبيرة ثمانية الشكل فى سراى القبة لمدة ثمان ساعات يوميا واستمروا على ذلك ستة أيام يناقشون مشاكل الدفاع المشترك ويعدون الاتفاقات التى صيغت ووضعت فى كتاب من الجلد الأخضر وختمت بأختام حمراء وتوقيعات كثيرة واقنع عبد الناصر كل من القوتلى وسعود أن يوقعا تعهدا معه جاء فيه الحرب الباردة بأن نبتعد عن مجاريها المختلفة وأن ننتهيج سياسة عدم المحاباة نحوها » ،

وكان هذا نصر أسياسة الحياد لدرجة انه اقتنع بأنه مفتاح المستقبل السعيد لمصر وجيرانها وكان نصرا شخصيا له ايضا ، اذ كان يأخذ مكانه كزعيم للحياد العربي .

وبعد ذلك بعدة أيام وصل الى القاهرة كريستيان بينو ، وزين لخارجية فرنسا وكان الاجتماع معه مثمرا لان بينو وافق على الا تنضم فرنسا الى حلف بغداد ، ووعد باجراء انتخابات فى الجزائر ووافق على تخفيض امدادات الاسلحة لاسرائيل ،

وكل يوم كانت التجارب الجديدة تثبت أن عبد الناصر كان عاقلاً .

وفى شهر ابريل قال عبد الناصر فى حديث له مع مراسل من نيويورك « ان معى فى جيبى عرضا سوفيتيا بالساعدة فى تمويل السد العالى بأسوان وسأفكر فى قبوله اذا حدث أى تدهور فى المفاوضات مع واشنطن » .

لقد كان يتصرف عن قوة ، وأراد أن يعرف الشعب الامريكي ذلك ومن خلال المقابلة التي محاضرة على الفرب .

« انتم أيها الأمريكيون تركزون اهتمامكم على القواعد الحربية وهده القواعد بما فيها من قنابل ذرية وهيدروجينية ستكون عديمة الفائدة وفي وسعكم أن تقيموا القواعد الحربية ولكن حول كل قاعدة من هذه القواعد توجد آلاف من القواعد الوطنية »

وفى منتصب شهر مايو اقنع عبد الناصر مجلس قيادة الثورة بالموافقة على خطوة جريئة حدره البعض من احتمال ان تسببهده الخطوة تعقد المسائل من الناحية الدولية بدرجة خطيرة حومى الاعتراف بالصين الشعبية وفى الوقت نفسه صرح باتفاق تبادل ضخم . . خمسة واربعون الف طن من القطن المصرى مقابل ستين الف طن من الصلب الصينى .

واستغرق ظهور رد الفعل الحقيقى من واشنطن فترة فقد تلا ذلك بيان استعطافى من الرئيس ايزنهاور . . « اننا نعتقد ان مصر مخطئة فى اعترافها بالصين الشعبية ولكن عملا واحدا يصدر عن دولة أخرى ولا يقابل منا بالترحاب لا يجب أن يتلف الصداقة مع هذه الدولة فهو ليس أكثر من المناوشات التى تحدث فى داخل المائلة والتى لا يجب أن تؤدى الى محكمة الطلاق » .

وأجاب عبد الناصر على ايزنهاور بأن أعلن أنه سيزور بكين قريباً وأنه قد دعا شواين لاى لحضور الاحتفالات بعيد الثورة السالث

وانه قد قبل دعوة لارسال وزير الدفاع الى الصسين لحضور مؤتمرات عسكرية .

وفي اوائل شهر يونيو من عام ١٩٥٦ عين ديمترى شيبياوف اللدى لم يكن الا مجرد محرر في جريدة « برافدا » عندما زار مصر منذ عام عين فجاة وزيرا لخارجية الاتحاد السوفييتى واستقبل استقبالا مشرفا حينما وصل الى مطار القاهرة بمد ذلك باسبوعين هو وابنته التى تبلغ من العمر عشرين سنة ومساعدوه الثلاثة لحضور حفل من الاحتفالات الهامة التى اقامها المصريون ، واصدر عند وصوله بيانا يثنى فيه على مصر يقول: « ان الاتحاد السوفييتى ينظر الى الدول العربية كاخواته » .

وعقد عبد الناصر وشبيلوف المؤتمر بعد الآخر في مدة يومين ، وفي يوم السبت صدر بيان يقول انهما تحدثا في المقابلة الاولى عن سد اسوان « وان شبيلوف ناقش وزير التجارة في قائمة كبيرة من البضائع التي ترغب روسيا ان تمد مصر بها في مقابل كمية اكبر من القطن المصرى ، واستمر اجتماع يوم السبت حتى مطلع فجر يوم الأحد تقريبا ، وبعد مدة قصييرة استأنفوا الاجتماعات مرة اخرى وعندما انتهت جلسسة الاحد التي استمرت اربع ساعات اخرى وعندما انتهت جلسسة الاحد التي استمرت اربع ساعات قيل للصحفيين أن الاتحاد السوقييتي عرض اقراض مصر كل البليون والربع بليون دولار التي يتكلفها السد العالى بنسسبة منخفضة من الارباح وعلى أن يسدد القرض على أعوام طويلة .

وطار الرجلان الى بور سعيد حيث كان المصريون يستعدون للاحتفال برحيل آخر جندى انجليزى من أرضهم ، وكان وزين خارجية روسيا قد دعى للاشتراك فى الاحتفال بهزيمة الاستعمان الغربى ولكن البريطانيين وجدوا طريقة لتجنب الشعور بالارتباك عندما يرحلون وأصوات عامة المصريين الذين يعيرونهم تدوى فى الذانهم ، فبدلا من ان يسلوا مغاتيح مقر قيادتهم الىجمال عبد الناص

رئيس الوزراء أو الى وزير الدفاع فى هذا الاحتفال العام فى يوم الاثنين الم يوبيو وهو اليوم الذى اعلنوه لرحيلهم ، فانهم شحنوا اخر جندى لهم قبل الموعد المحدد بخمسة أيام وبهدوء ، ودون اى احتفال وسلموا المفاتيح لضابط مصرى برتبة ملازم ثان ، وفعاوا ذلك بطريقة مفاجئة جدا لدرجة ان القاهرة لم تستطع تفيير خطة الاحتفال ومن ثم أصبحت مصر حرة قبل الموعد بعدة ايام قليلة وفي يوم الاثنين أقيمت الاحتفالات الرسمية .

وبينما كان عبد الناصر وشيبياوف يشقان طريقهما في عربة مكشوفة وسط الجماهير الصاخبة التي احتشدت في الشوارع بين المطار وقلب المدينة اذ بدا أن شبيلوف شعر بالضيق من اثر العرق تحت حرارة الشمس الوهاجة ، فتحدث لمضيفه بصوت عال خلال طنين صيحات الجماهير « أن هذا يضرني اكثر منك لانني لست معتادا على مثل هذه الحرارة » .

وحينما وصلا الى مبنى البحرية قبل جمال عبد الناصر العلم المصرى ورفعه فوق ذلك الابنى كان مقرا لقيادة القاعدة البحرية القوية في السويس .

وقال في الجماهير « : ((أيها المواطنون ، ان هذه اخلد لحظة في حياتنا ان هذا الجيل من الشعب المرى على موعد مع القدر ، ان هذا الجيل يمتاز بأنه رأى بعينيه بقايا الفزاة الأجانب يتسللون عائدين من حيث أتوا)) .

وفى اليوم التالى اقامت القاهرة احتفالاتها وبدلا من أن ينظر عبد الناصر الى عشرات الآلاف من الوجوه التى تتصبب عرقا ، كما حدث فى بور سعيد ، فأنه كان ينظر الى مثات الآلاف من الناس الذين بدا عليهم أنهم نسوا حرارة الشمس الخانقة حينما كانوا يتكدسون فى زحام شديد بالميدان خارج سراى عابدين ووقفوا مروعى الوجوه لمدة ساعتين ينصتون الى خطابه وقال لهم :

((اليوم ، ليس هناك علم اجنبى واحد يرفرف على ارض مصر وللمرة الأولى بعد هذه القرون أصبحنا أحرارا تماما لنجاهد من أجل تحديد مصيرنا ، واليوم يحدد بداية عهد جديد)) . .

وأعلن أن القانون العسكرى الذي كان يعمل منذ الثورة انتهى عمله الآن وصفقت الجماهير بعنف ، كما أعلن أن كل المسجونين السياسين قد أطلق سراحهم ، بل أنه صرح بأنه في وقت من الأوقات بلغ عدد أعداء نظام الحكم أمثال هؤلاء في السبحن نحو ثلانة الاف شخص وقال:

((ان سیاستنا صریحة وسنتعاون مع ای شخص او ای دولة علی استعداد بان تتعاون معنا)) •

وفي يوم الأربعاء ، وهو آخر أيام الأجازة الرسمية الثلاثة ، وقف عبد الناصر ليتلقى تحية الجيش وسارت الآلات الحربية تفر فع لمدة اربع ساعات دبابات ستالين جديدة ، ومقاتلات ميج النفاتة ، وقاذفات القنابل اليوشن ، وحاملات الجنود الروسية ذات الست عجلات ، وقاذفات اللهب ، والمدفعية الخفيفة والثقياة والدبابات التشيكية (ت - ٣٦) ، تقتلع الأسفلت وتملأ السماء بالرعد وتجعل الجو اكثر اختناقا للتنفس وتبللت الياقات بالعرق واغمى على رجل في المنصة ولكن عبد الناصر وقف لمدة أربع ساعات وقد ركن اهتمامه بصلابته معظم الوقت ،

وارسلت كل الدول العربية المجاورة ، ما عدا العراق ، قوات ومزية تشترك في العرض وتشاهد العتاد القادم من الشرق ، فارسل الأردن كتيبة من الفيلق العربي وارسلل لبنسان بعض جنود الترحلق ، وارسلت اليمن جماعة من تلاميد المدارس الحربية وارسلت كل من ليبيا والعربية السعودية وسوريا وحدات من الجيش النظامي فيها ...

وبدا أن كل شخص قد تأثر بعرض القوة العربية المصرية المجديدة مراسلو الصحف واعضاء السلك الدبلوماسي ـ والمصريون والأجانب على السواء وكان ذلك شيئا يدعو الى النشوة وخصوصا بالنسبة للرجال الذين كان عملهم دائما هو الخدمة العسكرية ، ولكن الشيء الذي كان يدعو الى النشوة اكثر من ذلك هو أن مصر اصبحت حرة وأن الدول الكبرى تتنافس على الفوز برضاها .

واسبح فی وسع عبد الناصر ان یحصل علی کل ما یریده من ای شیء من الشرق اذ تم توقیع اتفاق لمدة ثلاث سسنوات مع المانیل الشرقیة ، البضائع الثقیلة فی مقابل القطن ، وکانت روسیا وکثیرمن الدول الشرقیة الاخری علی استعداد لان ترسل له کل ما یحتاجهمن الفنیین ووصلت مائة طن من الاسلحة الصغیرة من الصین وتسامت مصر اربع کاسحات الغام مصنوعة فی بولندا ، وکان العتاد الحربی التشیکی یاتی فی شحنات وتسلمت مصر تسعة عشر قارب طوربید ووافقت بولندا علی تدریب خمسمائة ضابط بحری مصری ، کما وافقت تشیکوسلو فاکیا علی ان تبنی مصانع للمطاط والاسمنت ، وافقت المجر علی بناء سبعة کباری ، ووافقت المانیا الشرقیة علی ومصنع لتکریر السکر ومحطات للقوی کما وافقت بلغاریا علی بناء مصانع لتکریر البترول وحفظ الاطعمة .

وفى دول الغرب ، قررت السويد أن تستأنف أرسال شحنات الاسلحة الى مصر وليس لاسرائيل ، وبدأت فرنسا تسلم لمصر مدافع الماكينة وقطع المدفعية ومدافع المورتار والدبابات والطائرات النفائة مرة اخرى بمقتضى أذن بعشرة ملايين دولار على الرغم من خوف ماسة فرنسا من أن بعض هذه الاسلحة ربما يذهب الى الجزائر، ويستعمل ضد فرنسا في أحد الايام ، ووصل نحو مائتى دبابة فاليننا من بريطانيا عن طريق بلجيكا الى جانب الات حربية بريطانية معاد تجهيزها في الطريق ، وكانت كندا قد رفعت تحريمها لتصدير

الاسلحة وبدأت شحن طائرات التدريب بكميات كبيرة ، كما أن الولايات المتحدة كانت قد أعطت مصر فعلا أكثر مما قيمته ، ٦ مليون دولار من المعونة الاقتصادية والفنية ، ولكن مصر أخبرت واشنطن عن طريق السفارة المصرية .

وكانت هناك انتصارات أخرى أقل أهمية فساهم أغا خان بمساهمة صغيرة ولكنها رمزية وهامة في الأموال التي تجمع لشراء الأسلحة .

وتلقى جمال عبد الناصر الدعوات بالزيارات الرسمية من ادبع عشرة دولة أجنبية تضم معظم دول الكتلة الشرقية ، بل كانت هناك السفر الى روما ومقابلة البابا ، وافتتح الاتحاد السوفييتى أول قنصلية له خارج القاهرة في بور سعيد ، وفي أحد الأيام أرسات له تشيكوسلوفاكيا هدية شخصية عبارة عن طائرة ذات محركين وخمسة مقاعد _ سلمها للجيش _ وبعد ذلك بوقت قصير جاءت من موسكو طائرة اليوشن _ من نفس نوع الطائرة التي يستعملها لخروشوف _ سلمها للجيش إيضا .

وغدا ، سيرحل شبيلوف ولكن شخصا آخر سيحل محله على مائدة الاجتماعات مباشرة ، اذ أن يوجين بلاك كان سيهبط في القاهرة مرة أخرى بعد ساعات قليلة وطلب أن يجتمع برئيس الوزراء لأمر عاجل .

((وتبدأ حكاية تأميم القناة))

كالمة السر وبليسيس ..!

- الكان: مدينة الاسكندرية ، في ميدان المنشية ، نفس المكان الذي وقف فيه جمال عبد الناصر ليخطب في الجماهير يوم انطلقت رصاصات تحاول أن تخميد صوت الثيورة في شخص جميال عبد الناصر . .
 - 🚗 الزمان: ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ .

بعدما يقرب من عام ونصف ، من الحادث الأول ، وبعد شهون قليلة من اتمام جلاء القوات البريطانية المحتلة عن أرض الوطن ، تخلصا من احتلال دام أكثر من ٧٠ عاما . .

- الماسية: الاحتفال السنوى في عيد الثورة بيوم طرد آخر. ملوك اسرة محمد على من مدينــة الاسكندرية يوم ٢٦ يوليــو عام ١٩٥٢.
- و الحاضرون: حشود من الجماهير المكونة للاتحاد القومى . .
 وهى جماهير ذات مصالح مختلفة ، لا يجمعها خط فكرى واحد .
 - المنكلم: هو جمال عبد الناصر قائد الثورة ...
- الفاحة: التى اذهلت الجميع فى الاحتفال هى اعلان قرار من اخطر الفرارات التى اتخذتها الثورة المصرية ، حتى ذلك الوقت . .

هذا هو الهيكل الأساسي للتكاية • • أما الحكاية ذاتها فانها شيء آخر مختلف يصنع التفاصيل الكثيرة لهذه الصورة •

مساء ٥ سبتمبر سنة ١٩٥٤ أقيم احتفال كبير في المقر الرئيسي لهيئة التحرير لمناقشة اتفاقية الجلاء . .

اراد عبد الناصر لهذا اللقاء ، أن يكون لقاء أخويا وأن تتم المناقشة فيه بهدوء « فنكف عن الهتاف والتصفيق ، ونعتبرها جلسة عائلية للارشاد ، والفهم ، حتى لا نعطى فرصة للمسللين ليخدعونا ، وليكون كل فرد منكم عاملا على نشر مبادىء الشورة ، ومثلها العليا » .

وفى هذه الجلسة العائلية تحدث عبد الناصر عن خلاف الثورة مع الاخوان المسلمين . .

فى البداية ، أخرجتهم الثورة من السيجون والمعتقلات . . ولكن الأطماع الشخصية بدأت تعمل . . وبدأ الحقد بداخل النفوس . .

« أرادوا أن يفرضوا وصايتهم على الثورة . . فقلنا لا نقبل وصاية . . ولكن نقبل تعاون ، وهناك فرقبين الوصاية ، والتعاون » « نحن لا يمكن أن نسمح بأن تنتكس هذه الثورة أو أهدا فها » .

كانت اتفاقية الجلاء ، قد وقعت . . وكان جمال عبد الناصر يقوم بحملة في المحافظات لتعبئة المواطنين ، لهذا الانتصاد الكبير الذي حققته الثورة ، بعد عامين من قيامها ، وهو المطلب الاساسي للشعب المصرى طوال ٧٢عاما ، منذ وقع الاحتلال البريطاني في عام ١٨٨٢ .

ضمن جولات عبد الناصر من أجل اتفاقية الجلاء زار مدينة الاسكندرية ، ووقف في مؤتمر شعبى كبير أقيم بميدان المنشية مقر هيئة التحرير مساء يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤ يخطب . . .

وقبل أن يبدأ جمال عبد النسساصر خطابه ، ارتفعت الهتافات بحياته . . وقال عبد الناصر :

« كفى هتافا ، لقد هتفنا فى الماضى طويلا فماذا كانت النتيجة ، هل سنعود للفوضى ، والتهريج » .

« لا تهتفوا باسم جمال عبد الناصر ، بل سيروا الى الأمام بعزم وقوة ، ولنعمل جميعا لبناء هذا الوطن بناء حرا سليما » .

« يجب أن نتقدم وأن نعمل للمبادىء ، والمثل العليا » .

وتحدث جمال عبد الناصر بعد ذلك دقائق قليسلة لا تتجاوز الشلاث عن كفاح الآباء والاجداد من أجل الاستقلال .. وكيف اثمر هذا الكفاح . وقال : « واليوم أشكر الله ، فقد اثمر كفاح آبائكم ، اجدادكم .. وجميع الشهداء الذين استشهدوا في هذا السبيل » وكان قد وصل في حديثه الى الجملة التي يتحدث فيها عن الذين استشهدوا على طريق الكفاح . ومن أجل مصر .. عندما انطلق الرصاص .. وسمع الحاضرون أصوات طلقات نارية متوالية ومتابعة وسريعة ، وشاهدوا أحد الحاضرين في الاجتماع وهو يرفع مسدسا ويصوبه الى صدر عبد الناصر ، ويدوس على الزناد ..

وساد السرادق ذعر وهلع ...

وتحرك الرجال من أماكنهم ..

وحدثت ضجة وضوضاء . . ولكن عبد الناصر وقف في مكانه في شبجاعة الأبطال يخاطب الرجال . .

« ايها الرجال . . فليبق كل منكم في مكانه »

وظل يكرر هذه الجملة مرات متتالية ، وراء رصاصات متتاليات . كانت تنطلق من مسدس محمود عبد اللطيف . . ثم قال عبد الناصر : دمي فداء لكم . . . دمي فداء لكم . .

واستمر عبد النساصر يتحدث الى الجماهير ، وقد أمسكوا بالمجرم والعيون تتطلع الى عبد الناصر ، والآذان تستمع اليسمه وهو يعول:

« هذا هو جمال عبد الناصر يتحدث اليكم ، لاتراعوا فانه مازال يتحدث اليكم ، بعون الله بعد أن حاول المفرضون أن يعتدوا على حياته ، ان جمال عبد الناصر منكم ولكم وحياته دائما فداء للوطن »

وقاِل عبد الناصر في هذا اليوم التاريخي:

« ان دمى دمكم ، وهو لكم ، وسأعيش حتى الموت مكافحا في سبيلكم . من أجل حريتكم . . من أجل كرامتكم ، وعزتكم . . .»

« ليقتلونى . . فقد أودعت فيكم العزة . . ليقتلونى فقد أنبت هذا الوطن الحرية والكرامة . ليقتلونى من أجل مصر . . من أجلكم من أجل أحفادكم » . .

ثم دوى صوته بكلمته الخالدة التى ظلت تتردد بعد ذلك أعواما طويلة ، كلكم جمال عبد الناصر ، عندما قال : « اذا مات جمال عبد الناصر ، فانه يموت مطمئنا لانكم كلكم جمال عبد الناصر » . .

((لن تكون حياة مصر معلقة بتحياة جمال عبد الناصر ٠٠ بل هي معلقة بكفاحكم ٠٠))

واراد الله لمصر أن ينجو جمال عبد الناصر ، وأن يعيش ليواصل . مسيرة الثورة ، . ثورة ٢٣ يوليو .

* * *

بعد هذا الحادث بأقل من عامين . . كان عبد الناصر يتوجه بحديث الى المواطنين بعد أن تم تحقيق الجلاء ، ورفع العلم المصرى، فوق كل القواعد التى كان يحتلها الانجليز في منطقة القناة . .

ومن هذا الحديث كانت تطل علامات المستقبل ...

قال عبد الناصر في حديثه بمناسبة الجلاء الكامل:

« أن جيلنا لم يصنع هذا . . فخلال قرون طويلة كانت أجيال شعبنا تكافح وتناضل ، كان الشهداء يسقطون على الأرض ويجوارهم

أعلامهم مضرجة بالدماء ، ولكن لا يسلمونها أبدا ، وكانت المعارك لا تنقطع بين مد وجزر وتقدم وتأخر . ولكن قوى المقاومة فينا ظلت تخفق وتنبض . .

« كانت الجموع تحتشد ، وتتقدم ، فلا يستطيع الحديد ان يوقف تقدمها . . ولا يستطيع البارود أن يخفق صيحة الحرية تنطالق من صدورها . . .

«ثم جاء موعدنا مع القدر ، أتيح لجيلنا أن يشارك في المرحلة الحاسمة من المعركة ، وأن يسمع بأذنيه دقات أجراس النصر تتجاوب في الآفاق . . ولكن هذا الموعد مع القدر ليس مجرد ليلة عيد ، ولا هو مجرد أغاني فرح . .

(ان كفاح الشعوب لايتوقف عند غاية ، ولا يستقر عند نهاية . .

انه طريق بعيد المدى ، مداه مدى الحياة نفسها ، كلما بلغ منسه الشعب مرحلة ، لاحت امامه في المني مراحل . . ان الشعوب الحية لا تتهاون بعد ساعة النصر ، ولا تتراخى ، انها في ذروة شعورها بالقوة تدرك ان النصر الذي حققته ، انها هو مرحلة على الطريق وليس هو بحال من الأحوال خاتمة المطاف ، . تلك هي حكمة طريق الكفاح » . .

((ذلك انه في نفس الوقت الذي تتحقق فيه للشعوب امانيها القديمة ، ترسب وتتجمع في ضميرها ، ووجدانها امان جديدة . .

« أن كفاح الشموب طاقة دائمة مستمرة ، متجددة العمر ، خالدة البقاء . . .

يوم تم جلاء القوات البريطانية ، كان هذا اليوم يعنى بالنسبة لعبد الناصر ، بداية مرحلة اخرى من الكفاح ، اكثر قسوة ، وشدة وضراوة فأمامنا كما قال في صراحة ((مستولية غايات جديدة ، لابد لها من كفاح)) ه.

بعد شهر واحد من جلاء القوات البريطانية وفى نفس المكان الذى شهد محاولة الاعتداء الفادر عليه بالرساص . . وقف عبد الناصر ليعلن تأميم قناة السويس . . وقد فهم الكثيرون أن التأميم هو رد على محاولة البنك الدولى للانشاء والتعمير بوعرقلة بناء مشروع السد العالى . . أي أنه رد فعل ، لموقف معين اتخذه الغرب فقعل . .

ويخطىء من يتصور ، أن تأميم القناة كان مجرد رد على الدول الاستعمارية التى رفضت تمويل بناء السد العالى ، . فقد كان عبد الناصر الذى رفض الدخول معها فى أحلاف عسكرية ، بل وقاد حملة واسعة فى المنطقة العربية كلها ضد هذه الأحلاف ، . كان يعرف أن دول الغرب لن تمول له السد العالى ، . وكان عبد الناصر من قبل قد رفض أى ارتباط له مع الغرب المستعمر ، وكسر احتكار السلاح ، واتجه الى الكتلة الشرقية يفتح معها نافذة لأول مرة ويستورد منها السلاح ،

لذلك فانه كان من المنطقى أن يرفض الغرب تمويل مشروع السد العالى . . بعد أن حاول أكثر من مرة اجهاض الثورة ، بالتآمر عليها . وفشل . . فكان أقل ما يقسوم به هو محاولة المخنق الاقتصادى ، ورفض تمويل السد العالى واحد من هذه السلسلة من الضغوط الاقتصادية أذ أن السلد العالى أحد المشروعات الرئيسية والأساسية التى تعتمد عليها الثورة في تطوير المجتمع .

كان موقف عبد الناصر من الغرب المستعمر واضحا ..

كان موقفه من انجلترا واضحا . . فانجلترا هي التي استعمرت مصر ٧٢ عاما ، ولم تخرج نتيجة الاصرار وحده ، بل وأيضا بعد أن حملنا السلاح ضدها ، فخرجت مرغمة .

وفرنسا أيضا كان موقف عبد الناصر منها اكثر وضوحا، فثورة المجزائر تفجرت تطالب بالحرية والاستقلال . . ومصر الثورة لم تكتف بمجرد الدعم المادى والمعنوى لهذه الشورة الوليدة التي

تواجه استعمارا فرنسيا عاتيا يريد أن يتشبث بالأرض بعد أن فرض نفوذه ، ونظام حياته ، ولغته ، على شعب عربي لمدة ، ٩ عاما . . لم تكتف مصر عبد الناصر بمجرد التأييد ، بل أنها راحت تقف بكل طاقاتها ، وبكل ما تملكه من أسلحة وعتاد الى جانب القوى الجديدة التى اعلنت الثورة المسلحة ضد الاستعمار الفرنسي فقد وقفت الى جانب هذه الثورة وهي ما زالت جنينا يحبو في ايامه الأولى . . .

وأمريكا كان موقف عبد الناصر منها اكثر وضوحا مند رفض مشروعاتها المشبوهة بشبأن الشرق الاوسط ، وكسر احتكار السلاح ، ورفض حق تفتيشها على السلاح ، وقاوم الأحلاف التي تربط المنطقة العربية بها . . .

اذن موقف الغرب كان واضحا من الثورة ..

وموقف الثورة من الفرب كان واضحا أيضا . . ولو لم يرفض البنك الدولى للانشساء والتعمير تمويل بناء السسد المالى ، لأمم عبد الناصر القناة أيضا . . ولكن ربما في وقت مختلف ، فثورة يوليو التى قامت لتبنى ، وتقف في مواجهة الاستعمار ، ووضعت ضمن أهدا فها الستة أعادة البناء وتحقيق العدل ، ومقاومة الاستعمار في هذه الثورة كان لا بد أنها ستقضى على اكبر أوكار الاستعمار في مصر . . وهو شركة قناة السويس العالمية .

و بعد شهور قلائل من قيام الثورة ، كان ضباط القوات المسلحة يجتمعون في ناديهم ، ليستمعوا الى أولى محاضرات الموسم الثقافي ،

وكانت حول قناة السويس ، وفى نهاية المحاضرة قاد عبد الساصر الضباط الى قسم وتعهد بتأميم قناة السويس . . حدث ذلك فى الا نوفمبر سنة ١٩٥٢ على نحو ما نشرت جريدة الأهرام فى اليوم التالى للمحاضرة . . .

وقد أنشأ عبد الناصر مكتبا للأبحاث عن قنااة السويس في سنة ١٩٥٣ ملحقا برئاسة الوزارة .

وفى عام ١٩٥٤ طلب عبد الناصر من ادارة انشاها حديثا اسمه ادارة التعبئة العامة أن تقوم بدراسة واسعة حول قناة السويس تاريخها ، وعملها ، وادارتها ، والعاملون فيها ، وكل ما يتعلق به وقد انتهت الدراسة في سنة ١٩٥٥ ، وبدات الادارة بعد ذلك تنشره في المجلة الشهرية التي كانت تصدرها ، واسمها مجلة « الهدف تحت عنوان ((هذه القناة لنا)).

وفى ١٧ نوفمبر ساة ١٩٥١ وجه عبد الناصر رسالة الم الشعب المصرى بمناسبة الذكرى الخامسة والثمانين لافتتاح قنا السويس قال فيها « ألم تكن القناة من الاسباب الرئيسية التي دفعت بالاستعمار الى احتلال بلادنا بعد أن بيعت أسهم مصر فيها بأبخس الاثمان ألا ألم يتخذ الاستعمار من القناة ذريعة يسوغ بها بقاء الاحتلال ، ومن الدفاع عنها سببا لربط مصر بعجلتها ، ذلك عهد سجلنا نهايته وانقضاءه بحمد الله باتفاقية الجلاء ، واقسم بالله ما أنقضى الا بفضل كفاح طويل مرير ، استغرق ثلاثة أجيال من كفاح بدأه أجدادنا ، وحمل شعلته آباؤنا وأوقد جذوته شبابنا ، اذا كان لهذا الجيل وهو يؤدى التحية للأجيال السابقة مستبشرة فلن تقر عينه بالمستقبل الا أذا أشهد الله على أن يقوم مستبشرة فلن تقر عينه بالمستقبل الا أذا أشهد الله على أن يقوم في الحاضر بمسئولياته كاملة قبل الإجيال القادمة . . .

ثم قال كلمات ذات معنى عميق وهى ((لقد كانت مصر للقناة ، وذلك هو الحاضر وللقناة ، ذلك هو الحاضر ، ولم تعد مصر تلقناة ، ذلك هو الحاضر ، وسوف تكون القناة لمصر ، ذلك هو المستقبل » ، ،

وفى سنة ١٩٥٦ قبل تأميم القناة بشهور ، وقبل زيارة يوجين الد القاهرة ، نشرت مجلة المصور على غلافها عنوانا يقول : ماذا إعبد الناصر . . وفى التحقيق الصحفى الذى نشرته المجلة قال لا الناصر انه يقرأ كتابا عن قناة السويس . .

ولم يكن من المعقول أن يكون تأميم القناة مجرد رد فعل للامتناع تمويل مشروع السد العالى ، وأن البنك الدولى أذا كان قد بق على منح قرض لبناء السد العالى لانتهت المشكلة ولظلت القناة كة اجنبية وليست مصرية . .

هذا تصور ساذج .. ولكنه رائج بكل أسف ، بل أنه يدرس مدارسنا ، وكل الذين تناولوا تاريخ هذه الفترة بالكتابة ، لم يم أن يذكروا أن رفض تمويل السد العالى ، هو سبب تأميم أة السويس ..

ان رفض التمويل ، كان الحجة ، والمناسبة فقط ، ولكنه لم يكن سبب على اى حال ...

* * *

وحتى لا تتوه منا حكاية تأميم القناة . . نذكر أن مدة عقب المحمد متياز القناة كان سينتهى سنة ١٩٦٨ ، وبين الوثائق التي وجدت في مقر الشركة بالقاهرة ، أن الشركة كانت قد كونت لجنة

من فوستر دلاس ، وجورج بيكو وسابا حبشى باشا وعدد من كبار المساهمين في شركات البترول ، ومهمة هذه اللجنة هي التجهيز لمد امتياز قناة السويس فترة أخرى او تدويلها بعد ذلك .

فلو لم يؤمم جمال عبد الناصر القناة لمد امتيازها سنة ١٩٦٨ أو لتم تدويلها بموجب الخطة التي وجدت بين وثائق ادارة الشركة في القاهرة .

* * *

ونعود الى تكملة الحكاية . . حكاية تأميم قناة السويس . . الحكاية يرويها الدكتور مصطفى الحفناوى ، عضو أول مجلس ادارة لشركة قناة السويس الساهمة الصرية . . فيقول :

فى اغسطس سنة ١٩٥٢ . . كان كل ما يشغلنى منذ اعوام هو قضية تأميم القناة . .

وحملت هذه القضية على كتفى طوال أعوام عديدة ، وطفت بها على كل المسئولين في مصر . .

ذهبت للوزراء . . وذهبت لرؤساء الاحزاب السسياسية واعضائها . . حاولت أن ادفع بالقضية لتطفو على سطح حياتنا السياسية ، ولكن احدا لم يكن ليسمع .

وقررت انشاء جريدة ، اسمها قناة السويس ، لأرفع فيها صوتى ، بعد أن عجزت عن توصيله عن طريق الصحف التى اشترتها الشركة الاجنبية ، وعن طريق الاحزاب ، والبرلمانات التى لم تجرؤ على اثارة القضية . . .

وقامت الثورة في ٢٣ يوليو . وتنفست الصعداء ، وعلى الفور سعيت الى الالتقاء بقادة الثورة . .

وفى شهر أغسطس سنة ١٩٥٢ ، لا أذكر بالضبط التاريخ ، ولكننى أذكر فقط أنه فى النصف الأول من الشسمور وجدت من طلبنى ، ويقول لى :

_ انت على موعد في مجلس الثورة غدا ..

وذهبت الى هناك . .

قابلنى ضابط شاب أسمر طويل ، يجلس على مقعد ، وأمامه ترابيزة خشب قال لى :

_ انا جمال عبد الناصر حسين . .

قلت له:

_ طلبت أن أقابل قادة الثورة لأعرض موضوعا خطيرا وهاما . _ أنه هو . .

_ موضوع قناة السويس ،

.. مالها ...

_ لازم نأممها . .

- Lune ?

ــ علشان دى قناة مصرية . .

واخلت اشرح قصة القناة ..

واستمع عبد الناصر ، جيدا ، وطويلا . . ثم قال لي :

_ احسن حاجة نركز دى الوقت على اخراج الانجليـــز من القاعدة العسكرية ، واعدك بعد خروجهم هنامم القناة طبعا . .

وبعسد ایام کان نفس الصوت الذی طلبنی لاقابل جمسال عبد الناصر لاول مرة فی حیاتی یطلبنی ویقول لی:

- احنا عاوزين منك محاضرة عن قناة السويس وضرورة تأميمها في نادى القوات المسلحة . . لنفتتح بها الوسم الثقافي . .

- والمحاضرة الثانية

- ... العبد العزيز عبد الله سالم عن الاصلاح الزراعي واشمعني تبدأوا بقناة السويس . .
 - _ أحسس . · ·

وذهبت لالقاء المحاضرة .. وحضر كل قادة الثورة ، وفي نهاية حديثي طالبت بتاميم القناة .. وقلت أن ذلك سوف يعقبه حرب. ووقف الضباط جميعا يقسمون أنهم سيؤممون القناة ..

وفى يوم ١٨ نو فمبر ١٩٥٢ طلعت جريدة الأهرام بخبر طويل حول افتتاح الموسم الثقافي ، وحول قسم الضباط !

* * *

اسمحوا لى أن أقفر سنوات لأصل الى ملفات الشركة التى وحدت بعد التأميم . .

وجد فى مافات الشركة ما يثبت ان مجلس ادارة الشركة بمد ان قرأ نبأ المحاضرة والقسم ، طاف على الوزراء ، يطلب اليهم أن يحددوا موقفهم من هذه القضية التي أثيرت فى نادى الضباط . .

وقالت وثائق الشركة أن مجلس الادارة قابل الضابط جمال عبد الناصر ، وطرح عليه القضية ، ولكن جمال عبد الناصر ظل صامتا طوال الحديث ، ولم يتكلم فلم يبد أى رأى فى القضية التى اثيرت والتى ذهب مجلس الادارة يناقشه فيها ، بل انه تحدث اليهم فى موضوعات اخرى ، ثم أنهى المناقشة . . دون أن يخرجوا بنتيجة من هذه المقابلة . .

* * *

بعد ايام من هذه المحاضرة ، كان الدكتور مصطفى الجفناوئ يتلقى خطابا من مجلس الثورة يطلب اليه انشاء مكتب تابع لرئيس الوزراء لشئون قناة السويس ، مهمته الاعداد لتصفية الشركة ، وينختار مقرا للمكتب في مبنى مجلس الشيوخ .

الدكتور مصطفى الحفناوي ما زال يروى الحكاية من وجهسة فظره:

« بعد أيام أتصل بى أحد أصدقائى ، ودعانى لتناول الغداء معه .. وأكد على بضرورة الحضور لأن هناك مفاجأة تنتظرنى .. وذهست الى منزل صديقى في شارع الهرم ..

وبعد وصولى ٠٠ فوجئت بجمال عبد الناصر ، يدخل ومعسه فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى ٠٠

وقال لى جمال ونحن نتناول الفداء :

ن انا جاى علشان نتكلم عن قناة السويس ١٠٠٠

وبعد أن تناولنا الغذاء ، وأصلنا حديثنا في الصالون . . وفي نهاية الحديث قال لى وهو يشد على يدى بقوة :

ن أعدك أن نؤمم هذه الشركة سنة ١٩٦٠

وقلت له:

- Les mis . 197. ?

وقال لى:

_ انت قلت فى كتبك ان قناة السويس مجموعة دول . . لازم يكون عندنا جيش علشان نستعد لمواجهة المعركة مع هذه الدول .

وبعد شهور . قرأت أن عبد الناصر كسر احتكار السلاح واشترى لجيش مصر كميات من الأسلحة . وقلت في نفسي هذه خطوة . . وأمسكت الورق والقلم لأكتب رسالة لعبد الناصر أقل له:

- أرجو ألا تنسى أن يكون بين هذه الأسلحة غواصات تقف فى مداخل القناة تحرسها عندما تضرب ضربتك . .

فرد على شاكرا .. نقط ..

وبعد شهور التقينا في صلاة العيد في مسجد الامام الحسين ؟ وأمسك عبد الناصر بيدى كأنه يريد أن يقول شيئا ولكنه لم يقل أي شيء . . .

وبعد شهور أخرى كانت الشائعات تنطلق وتقول أن عبد الناصر، سيجدد امتياز شركة القناة وأنه تجرى مفاوضات مع شركة قناة السويس لاستثمار أموالها في مشروعات طويلة الأجل . . والحقيقة أننى عندما سمعت هذه الاشاعات ، وقرأتها في بعض الصحف الأجنبية أصابني يأس شديد ، واحسست بخيبه أمل كبيرة .

وأغلقت مكتبى . . وذهبت الى الريف أعيش هناك . . وأقول لكل من أقابله أننى خدعت وأهاجم جمال عبد الناصر .

* * *

كنت اعيش في عزبتى على بعد ٥٠ كيلو متر من الاسكندرية ٠٠. عندما جاءنى ضابط من البوليس يطلب الى برفق ، ومودة ان ارتدى ملابسى . واذهب معه الى القاهرة . . انزعجت ، وخفت ، كنت اتصور أنه قد تم القبض على نتيجة تعليقاتى على الشائعات التى كانت تتردد . وفي الطريق الى مطار الاسكندرية علمت أننى سأركب طائرة حربية خاصة للقاهرة . وازداد خوفي ، وخاصة أن الضابط المرافق لى كان لا يعلم شيئا عن سبب استدعائى .

ونرلت من الطائرة في المطار الحربي بالقاهرة وأنا لا أعرف الى ابن سأتجه . . وظللت في .ضباب حتى وجدتنى في حديقة بيت جمال عبد الناصر ، وهو جالس في الحديقة ، وعندما رآنى قام لمقابلني في منتصف الحديقة ، وهو يضحك قائلا:

ـ انا آسف اللي جبتك بالطريقة دى . . لكن محدش عرف يدل عليك . . انت عارف أنا جبتك ليه . . ؟

1 · · y -

وقال:

- ما هي أحسن حاجة تتمناها ٠٠٠

وقلت 🌡

ــ يعنى أنا محكوم على بالاعدام ، ونفسى فى أيه قبل تنفيل المحكم .

وضحك جمال عبد الناصر وهو يقول ٠٠٠

_ احنا مشى اتفقنا ان فيه حاجة هنعملها سنة ١٩٦٠ ، هل فيه مانع لو قدمنا عقرب الساعة وبقينا في سنة ١٩٦٠ الليلة دى ٠٠

انا قررت تأميم شركة قناة السويس فورا وعلشان كده جبناك ... هاوزك تكتب مشروع القانون ...

وسرحت . . وانتابتنى احاسيس متباينة لا استطيع أن اصفها . . ووجدتنى رغم كل حماسى السابق لتأميم الشركة اقول له:

- _ ممكن نأجل الموضوع ٦ شهور ٠٠
 - ـ ليـه ٠٠
- _ لأن القضية ما زالت مجهلة ، ويجب أن تبسيط الأمر للرأى العام حتى يكون معنا . .
- _ تفتكر الراى العام العالى يمكن يسمع مننا دى الوقت حاجة ..
- _ انا اكاد اسمع بأذنى ازير الطائرات التي سيتقذفنا بالقنابل ولست ادرى مدى صمود الشعب .
 - _ مين اللي حيحاربنا .
- انجلترا «وشرحت الأسباب» وفرنسا «وشرحت الأسباب» وربطت بين هذا وبين المشكلة القائمة في الشرق الأوسط منذ وجود اسرائيل . . .

واستمع عبد الناصر جيدا ثم قال:

- ـ هل نحن أصبحاب حق .
 - ۔ يقينا . .

- س يتفضلوا يحاربوا . . ما يقدروش يعملوا اى حاجة . . . احنا أقوى منهم ما دمنا أصحاب حق ، والشعب المصرى قادر . . ثم التفت الى وسألنى :
 - _ فيه حاجة تانية ..؟
 - ـ أيوه .
 - ٠٠ ايه ٠٠
 - التدويل .
 - تدويل أيه ..

وشرحت كيف أن الغرب اعد مشروعا لتعويل قناة السويس واننى ابلغت هذا المشروع للسيد الرئيس فى مذكرة سبق أن ارسلتها اليه ، ولم يصلنى الرد فنشرتها فى كتابى وبدت علامات الدهشة على وجهه ثم طلب الكتاب الذى نشرت فيه المذكرة وهو الجزء الرابع من مؤلفاتى عن قناة السويس ، وكان الكتاب فى مكتبته ، وقلب صفحاته وعندما قرأ المذكرة ، كانت دهشته شديدة لانها لم تصله .

وبعد أن أعاد قراءتها جيدا قال لي:

- فيه حاجة تانية تشوف اننا لازم نبحثها ...
 - قلت :
 - هيسحبوا الموظفين الاجانب .
 - وقال:

- مغیش ای عقبات یمکن تحوشنی . . انا مش هاخر الموضوع عن یوم ۲۲ الساعة ۸ مساء وهاعلن القرار من میدان المنشیة پالاسکندریة نه ده دو ا

دى الوقت عاوزك تحكى لى القصة من أولها . . عاوز اسمعها تقصيلا ، أنا قريت كل الكتب لكن عاوز اسمع كمان . . وعاوز اقول لك ما تختصرش . . ما عنديش شغله غيرك . . . هل عندك مانع نقعد

لغاية الصبح أنا عاوز الناس دول كلهم يعرفوا الحكاية ، وأشار الى عدد من الأشخاص كانوا يحضرون الجلسة .

_ لا . . ماعندیش مانع . .

وبدات اشرح القضية . . كقضية قانونية . . وحق مصر في قناة السويس ، ولكن عبد الناصر قال لي :

_ لا .. ابتدى من الأول ... من أول قناة فرعون 6 علشان الناس يسمعوا معانا كمان ..

وبعد منتصف الليل ، كنت قد انتهيت من حكاية القنساة من اولها حتى نهايتها . عندما سألنى :

_ احكى لهم . . حكايتك أنت مع القناة . .

وبدات مرة ثانية اشرح ، كيف اصطدمت بمشكلة قناة السويس هلى ظهر باخرة يونانية ، وانا فى اول رحلة عمل لى فى حياتى الى الخارج . . وكانت الى انجلترا .

سمعت عجوزا انجليزيا يتحدث عن القناة ، ويسب المصريين ، ولما حاولت التدخل في الحديث اهانني . . وفي لندن سألت عن كتب عن قناة السويس ، فدلوني على مخزن وثائق وزارة الخارجيسة البريطانية حيث تتراكم الوثائق ، واخلت اقرأ ، واقرأ ، ثم قررت أن اقدم رسالة للدكتوراه عن قناة السويس ولكن جامعة اكسفورد لم يكن فيها أماكن الا للعسائدين من الحرب فذهبت الى باريس ، وسجلت الدكتسوراه ، ودخلت مخسزن وثائق وزارة الخارجيسة الفرنسية ، ثم ذهبت الى مخازن المحفوظات في فينا وفي الفاتيكان . واستطعت أن أرتب الخطة التي ادخلتني مباني الشركة لاطلع على وثائقها السرية ، واحصل على بعضها ، واحتفظ بصور من البعض الآخر منها وأعددت رسالتي الكاملة ، وحصلت على اللاكتوراه . .

ما زال الدكتور مصطفى الحفناوى يروى جانبا من حكانة تأميم القناة كما عاصرها:

بعد أن انتهيت من هذه القصة الشخصية البحته ، المربطة الضا بقناة السويس سألنى جمال عبد الناصر :

_ انت هتبات فين الليلة دى .

وقلت:

۔ فی بیتی بجاردن سیتی .

وقال لى: انت دى الوقت عارف سر خطير ، ولو حد عرف انك قابلتنى ، السر يمكن يتعرف . . عاوزك تحرص ان محدش يعرف موجود فى القاهرة ، وتقفل على نفسك ، وتيجى الليلة الجاية هنا . الساعة تمانية ومعساك مشروع القانون ومش عاوز كلام كتير . . . صفحة واحدة بس . . .

وقال وهو يضحك : انتم يا بتوع الفانون دايما تكتروا في الكلام وتعقدوا الأمور . .

فى اليوم التالى كنت اذهب الى بيت الرئيس فى منشية البكرى .. ومعى صغحة واحدة فيها مشروع القانون بتأميم شركة قناة السرويس العالمية وتحويلها الى شركة مساهمة مصرية .. وهناك قالوالى : الميعاد الساعة عشرة فى مبنى مجلس الثورة . وعدت الى بيتى قلقا .. حتى جاء الموعد كنت أمام مبنى مجلس قيادة الثورة ، ووجدت هناك من ينتظرنى . ويصحبنى مباشرة الى حجرة جمال عبد الناصر ...

حجرة بسيطة مستطيلة بها سرير سفرى ، وترابيرة مستديرة وعدد من الكراسي الخشبية . • •

ولما رآني قال لي على الفور:

- انت عارف أنا جبتك هنا ليه ٠٠

وقبل أن اجيب ، كان يرد هو على السؤال قائلا :

_ أنا متفائل بالأوضة دى ، كل ما أعمل عمل فيها ينجح . . فيها بحثت صفقة الأسلحة ، وأعمال كثيرة انتهت بخير والحمد لله . وأن شاء الله الليلة دى هنخلص على شركة قناة السويس هنا . .

وسلمته مسودة القانون ، ومعها مذكرة توشك أن تكون محضرا كاملا لكل ما دار بينى وبينه فى الليلة السابقة قرأها بسرعة ثم قال لى:

_ ودى لازمتها ابه .

قلت له .

ــ للتاريخ . . أرجو أن تكرمني بوضيع هده الورقة ضمن محفوظات الدولة .

وقال:

ــ ان شاء الله ..

وبدا يقرا مشروع القانون بامعان ، ويناقشنى فيه واجرى عليه بعض التعديلات . . ثم جلس يكتب مسودة خطابه ، الذى سيلقيه في اليوم التالى بمدينة الاسكندرية .

وتركته في حوالي الساعة الثالثة صباحا وهو يقول لي:

_ تبات زى امبــارح ، ومحدش يعرف حاجـة أبدا ، وتخلى التليفون جنبك . . .

وجلست فى بيتى . . بعد أن أخبرنى بالخطة التفصيلية التى اعدها للاستيلاء على مقر شركة القناة فى القساهرة والاسماعيلية وبورسعيد والسويس . .

مساء ۲۲ يوليو سنة ۱۹۵۲ (۱) ٠

جمال عبد الناصر يلقى خطابه في ميدان المنشية بالاسكندرية...

كان الاتفاق على ان تتحرك قوات للاستيلاء على مقر هيئة قناة السيويس بجاردن سيتى بالقاهرة ..

وقوات اخرى تتحرك من الاسماعيلية لتستولى على مقر الشركة هناك ٠٠

وقوات ثالثة تتحرك من بور سعيد للاستيلاء على مبنى الشركة ومرافقها في المدينة . . .

وقوات رابعة تتحرك من السويس لتقوم بنفس المهمة . .

القوات لم تكن تعرف المهمة التي ستقوم بها . . فقد وضعت

(۱) في حديث لجمال عبد الناصر نشرته صحيفة الصنداى تايمز البريطانية في يونيو ١٩٦٢ ، آجاب على سؤال حول تأميم قناة السويس وقال في اجابته : كان الجنود المصريون ينتظرون ومعهم أوامر مختومة باحتلال مكاتب شركة قناة السويس ومنشاتها ، وكان محمود يونس يعلم كلمة السر للبدء في العملية وهي ان اذكر اسم دليسبس في خطابي ٥٠ كان رفض القرض لبناء السحة المالي هو الدافع الباشر ، ولكني كنت من قبل قد شكلت لجنة لدراسة مستقبل قناة السويس ، وتقديم مشرومات بشانها ، فالقناة مصرية ، وأيا كان الامر فقد كان محتما في النهاية ان تتخذ خطوة مشابهة ،

وقال عبد الناصر في حديثه أنه عرف أن بريطانيا وفرنسا أمرت بسمستحب مرشيديهما من القناة حتى تتعطل الملاحة وأنه عندما سأله أحد المراسارين عن ذلك أجاب ببساطة : لقد أمرت الفرقة الموسيقية أن تعزف لهم عند رحيلهم «حفظ الله الملكة » أو « المارسيلييز » •

وقى ١٤ يونيو ١٩٥٧ أجاب عبد الناصر على سؤال مباشر لمجلة لوك الامريكية هما أذا كنتم ستستولون على القناة حتى لو ظل عرض الولايات المتحدة وبريطانيا بمساعدتكم في بناء السد العالى قائما ؟

أجاب بقوله: « لقد كنا ندرس مسألة تأميم القناة ، ولكننا لم نكن توصلنا الى قراد فجملتهونا أنتم نستقر على القراد » .

خطة محكمة لتحرك القوات بحيث تبقى القوات في هذه المدن الى ان تصدر اليها تعليمات للتحرك . . فقط القادة هم الذين كانوا سر فون الخطة وتفاصيلها . .

كان أساس الخطة أن تستمع القوات الى خطاب جمال عبد الناصر . . أولا . . موضوع عادى جدا أن يجلس كل المواطنين في مصر ليستمعوا الى أى خطاب لعبد الناصر . . بل أن الموضوع غير العادى هو ألا يستمع الناس الى خطابات عبد الناصر . . وكانت التعليمات لدى القيادات أن تتحرك بقواتها للاستيلاء على مبانى ومنشسات شركة قناة السويس عنسدما يأتى ذكر اسم (فيردناند دى ليسميس) في خطاب عبد الناصر . .

قكانت كلمسة السر . . هى « فيردناند دى ليسبس) ووقف جمال عبد الناصر يخطب فى الجماهير الهادرة لمدة سساعة ونصف ساعة قبل ان يذكر اسم « فيردناند دى ليسبس » . . . وعنسدما وصل فى خطابه الى الحسديث عن « فيردناند دى ليسبس » كانت القوات تنطلق لتؤدى مهمتها . .

وعاد عبد الناصر فى خطابه يكرر أكثر من مرة اسم الرجل الذى اقنع الخديوى بحفر القناة . . ليؤكد على القوات أن تتحرك وتؤدى مهمتها . .

واستمر في القاء خطابه ، ثم قرأ القرار بتأميم شركة قنساة السويس . . وأخذ يشرحه .

وكان قد مضى وقتا كافيه الكى تكون القوات انتهت من اداء مهمتها ، وبعد أن تأكد وفقا للبرنامج الزمنى الذى أعده أن الخطهة قد نفذت نظر الى ساعته ثم قال فى نهاية خطابه . .

« الآن وأنا أتكلم اليكم يقوم أخوة لكم من أبنساء مصر ليديروا شم ٢" القنال ، ويقومون بعمل شركة القنال ، الآن في هذا الوقت يتسلمون شركة القنال ، شركة القنسال المصرية لا شركة القنسال الإجنبية ، . قاموا ليتسلموا شركة القنال ومرافقها ، ويديروا الملاحة

ذ.

فى القناة . . القنيساة التى تقع فى ارض مصر ، والتى تخترق ارض مصر ، والتى تخترق ارض مصر ، والتى هى جزء من مصر ، وملك لمصر . . نقوم الآن بهذا العمل لنعوض ما فات ، ولنعوض عن الماضى ، نبنى صروحا جديدة للعزة والكرامة . . وفقكم الله . . والسلام عليكم ورحمة الله » .

حكاية على هامش الحكاية:

هذه الحكاية القصيرة لمجرد التوضيح فقط . ولبيان كيف ذكر عبد الناصر اسم « فيردناند دى ليسبس » اكثر من مرة .

انها فقرات من الخطـــاب الذي ألقاه جمال عبد الناصر في ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ ، وأعلن فيه تأميم القناة . .

وفى الخطاب روى حكايته مع الغرب كاملة . . وقصـــة لقائه مع يوجين بلاك فقال:

وحینها وصل یوجین بلاك ، وهو مدیر البنك الدولی ، وبدا یتكلم معی فی تمویل السد العالی ، قال اننا بنك دولی ولسنا بنكا سیاسیا ، ولیس لی شــان بامریكا مطلقا ، فانا مستقل واقول الرای الذی اومن به .

وقلت له : كيف يكون مجلس الادارة ممثلا لدول ، ولا يكون بنكا سياسيا فمجلس الادارة اغلبه من الدول الغربية السائرة في فلك امريكا .

وابتدات انظر الى مستر بلاك وهو جالس على الكرسي وكنت اتخيل انني اجلس امام فرديناند دلسيس .

وعاد بى تفكيى الى الكلام الذى كنا نقرؤه ففى عام ١٨٥٤ وصبل الى معر فرديناند دلسبس وذهب الى محمد سعيد باشا ، الخديوى ، وجلس بجانبه وقال له نريد أن نحفر قناة السويس ، وهذا المشروع سيفيدك فائدة لا حد لها ، فهو مشروع ضخم وسيعود على معر بالكثي .

وعندما كان بلاك يسترسل في كلامه معى ، كنت احس بالمقد الموجودة في الكلام الذي يقوله ويعود بي التفكير الى فردينائد دلسبس .

لم قلت له : نحن عندنا عقدة من هذه الموضوعات ونحن لا نريد أن نرى كرومر في مصر مرة ثانية ليحكمنا ، عقدوا في الماضي قروضا ، وفوائد على القروض ، وكانت النتيجة أن احتلوا بلدنا ، فأرجوك أن تضع هذا الاعتبار في نفسك ، وفي كلامك معي ، فنحن عندنا عقدة من دلسبس ، ومن كرومر ، عندنا عقدة من الاحتلال الاقتصادي ، هذه هي الصورة التي صورت لي . . صورة دلسبس حيثمسا وصل الي مصر . . وصل دلسبس الي مصر في ٣٠ نوفمبر عام ١٨٥٤ ، وصل الي الاسكندرية ، وبعا يعمل في حدر وخديمة ، وفي ٧ ديسمبر عام ١٨٥٤ وبعد أن أتصل دلسبس بالخديوي محمد سعيد حصل على امتياز القنال ، وصدر هذا الامتياز الذي منحه سعيد قال الآتي :

حيث أن صديقنا مسيو فردينانه دلسبس قد لفت نظرنا الى الفوائد التى قد تعود على مصر من توصيل البحر الابيض المتوسط بالبحر الاحمر، بواسطة طريق ملاحى للبواخر، واخبرنا بالفوائد التى تعود على مصر، وأخسبرنا عن امكان تكوين شركة لهذا الفرض من أصحاب رءوس الاموال، فقبلت الفكرة التى عرضها علينا، واعطيناه بموجب هذا تفويضا خاصا بانشاء وادارة شركة لحفر قنساة السويس، واستفلال القناة بين البحرين .

وكان هذا الكلام عام ١٨٥٤ ، وفي عام ١٨٥١ اى منذ مائة عام صدر فرمان بتكوين الشركة واخدت مصر من الشركة ٤٤٪ من الاسهم ، والتزمت بالتزامات لدلسبس . . شركة دلسبس شركة خاصة ليس لها علاقة بحكومات ، ولا بسيطرة ، ولا احتالل ، ولا استعمار . . دلسبس قال للخديوى أنا صديقك ، وقد جنت لافيدك ، وأعمل قناة بين البحرين تستفيد منها .

وتكونت شركة قناة السويس ، واشتركت مصر ب ؟ ؟ ير من الاسهم وتعهدت مصى بان تورد العمال الذين سيحفرون القناة بارواحهم وجماجمهم ودمائهم ، ١٢٠ الف عمل قاموا بحفر القناة مجانا دفعنا ٨ مليون جنيه بعد ذلك ولاجل أن يتنازل دلسيسى عن بعض الامتيازات كنا تدفع له ايضا ...

وكان من المفروض أن ناخذ ١٥ ٪ من أرباح الشركة زيادة على أرباح أسهمنا

وتنازلنا عن ١٥٪ من الارباح .. وبعد أن كانت القناة محقدورة أهم كما قال دلسبس للخديو أصبحت مصر ملكا للقناة .

وفي الاتفاق الذي عقد في ٢٢ فبراير ١٨٦٦ ، جاء في المادة ١٦ أنه بما أن الشركة المالمية لقناة السويس البحرية شركة مصرية فانها تخضع لقسوانين البلاد وعرفها ، والى الآن لم تخضع الشركة لقوانين البسلاد ولا لعرفها لانها تعتبر نفسها دولة داخل الدولة .

والمنازعات التى تنشا في مصر بين الشركة وبين الافراد من اية جنسية تختص المحاكم المرية بالفصل فيها تبعا للاوضاع التي تقررها قوانين البلاد وعاداتها . وتختص المحاكم المرية بالفصل في المنازعات التي قد تنشسا بين الحكومة المرية . والشركة ويقفى فيها طبقا للقوانين المحرية .

ونتيجة الكلام الذى قاله دلسبس للخديوى عام ١٨٥٦ .. ونتيجة الصداقة والديون .. هي احتلال مصر عام ١٨٨٢ .

واستدانت مصر بسبب هذا الموضوع .. فعاذا فعلت ؟ . اضطرت مصر في همد اسماعيل الى بيع نصيبها من الاسهم وقدره ؟؟ ٪ من اسهم الشركة .. وفورا ارسلت انجلترا تشترى نصيب مصر من الاسهم في الشركة .. اشسسترتها بأربعة ملايين چنيه . وبعد ذلك تنازل اسماعيل عن الارباح التي كان ياخذها للشركة وقدرها ه ٪ نظير تنازلها عن بعض الامتيازات التي اعطيت لها فاضطر بعد ان اشترت انجلترا الـ ؟؟ ٪ من الاسهم باربعة ملايين جنيه مقابل أن يدفيع لانجلترا سنويا ه ٪ نظير الارباح التي كان قد تنازل عنها ، فدفع لها أكثر من اربعة ملايين جنيه اي أن بريطانيا اخلت نصيب مصر من الاسهم وقدره ؟؟ ٪ بدون مقابل .

هذا هو ما حدث في القرن الماضى . فهل يعيد التاريخ نفسه مرة ثانية ويمود الى الخداع والتضليل ؟ وهل يكون التحكم الاقتصادى سببا في القضاء على حربتنا السياسية ؟ . . كلا . . لا يمكن أن يعود التاريخ مرة أخرى ونحن اليوم نقضى على الله الماضى البغيض التى تسبب فيها المستعمرون بالخداع والتضليل .

واليوم فان قناة السويس التى مات من ابنائنا فى حفرها .17 الفا .. حفروها بالسخرة ودفعنا فى تأسيسها ٨ مليون جنيه .. قناة السويس التى أصبحت دولة داخل الدولة .. والتى اذلت الوزراء والوزارات .. هذه القناة قناة مصى ، شركة مساهمة مصرية اغتصبت بريطانيا منا حقنا فيها وهو ال ٤٤ فى المائة من أسهم الشركة .. وما زالت بريطانيا من وقت افتتاح القنال حتى الآن تأخذ فوائد مقابل هذه الاسهم والدول كلها تأخذ فوائد والمساهمون فيها يأخذون فوائد ..

وطع دخل شركة قناة السويس في عام ١٩٥٥ ـ ٣٥ مليون جنيه اى مائة مليون دولار وناخذ منها نحن الذين مات من أبنائها ١٢ ألفا حفروها مليون جنيه فقط اى ٣ مليون دولار ؟

شركة قناة السويس التي قامت كما قال الفرمان من أجل مصلحة مصر ومن أجل منعة مصر ؟

هل تعلمون مقدار الساعدة التي ستعطيها لنا امريكا وانجلترا في خمس سنوات ؟ ٧٠ مليون دولار .. وهل تعلمون من الذي ياخذ المائة مليون دولار وهي دخل الشركة الستوى ؟ هم الذين ياخذونها بالطبع .

اننا لن نكرد الماضى بل سنقضى على الماضى .. سنقضى على الماضى بأن نستعيد حقوقنا في قناة السويس .. هذه الاموال أموالنا .. وهذه القناة ملك لصر لانها شركة مساهمة مصرية .

حفرت قناة السويس بواسطة ابناء مصر ، ومات ١٢٠ الف مصرى في حفرها . . شركة قناة السويس الموجودة الآن في باريس شركة مفتصبة . . اغتصبت امتيازاتنا . وعندما جاء دلسبسي الى مصر كان مجيئه يشبه مجيء بلاك الى مصر للتحدث معى . .

والتاريخ لن يعيد نفسه ، بل على العكس سنبنى السد العالى وسنحصل على حقوقنا المفتصبة . . سنبنى السد العالى كما تريد . . وسنصمم على هذا ، وسنصمم على هذا ، وسنيد خنيه كل سنة تأخذها شركة القناة . . فلتأخذها مصر . . مائة مليون دولار كل سنة تحصلها شركة القناة لمسلحة مصر . . فلتحقق هذا الكلام وتحصل مصر على الملة مليون دولار لمتفمة مصر ايضا . .

ولهذا فاننا اليوم آيها الواطنون حيثما نبئى السد المالى ، فانما نبئى أيضا سد العزة والحرية والكرامة ونقضى على سدود الذل والهوان .

وتعان ... مصر كلها ... جبهة واحدة انها كتلة وطنية متكافئة متحدة .. مصر كلها ستقاتل لآخر قطرة من دمائها .. كل واحد من ابنائها سيكون مثل صلاح مصطفى ومثل مصطفى حافظ .. كلنا سنقاتل لآخر قطرة من دمائنا في سبيل بناء بلعنا ، وفي سبيل بناء مصر .. لن نمكن منا تجار الحروب .. لن نمكن منا الستعمرين .. لن نمكن منا تجار اليشر ، وسنعتمد على سواعدنا وعلى دمائنا

ونحن اغنياء ، لقد كنا متهاونين في حقوقنا ونحن تستردها ومعركتنا مستمرة ، تسترد هذه الحقوق خطوة خطوة وسنبنى معر لتكون قوية . . وسنبنى معر لتكون عزيزة .

ولهذا قد وقمت اليوم ، ووافقت الحكومة على القانون الآتي ؟

* * *

وارتفع صوت جمال عبد الناصر بعد ذلك وهو يقول؟

قرار من رئيس الجِمهورية بتأميم الشركة العالمية لقناة السويس شركة مساهمة مصرية ••

وانتهت هذه الحكاية . . على هامش حكاية تأميم القناة . . . وكانت هناك بعد ذلك حكايات كثيرة أخرى على هامش قصية التأميم ، وبعدها ، كتبها الشعب المصرى بدماء أبنائه يه. . تحت قيادة البطل الزعيم . . جمال عبد الناصر . . .

عب السويس ..برايان التحول

الزمان: ٢ نوفمبر سنة ١٩٥٦ ، بعد تأميم قنيساة السويس بحوالي شهرين .

الكان: مستجد الأزهر الشريف . . جمال عبد الناصر يعتسلى النبر ويقف وقفة يدعو الى الجهاد . .

الحكاية: ثم تشا انجلترا ، وفرنسا ، أن يمر قرار تأميم القناة ، ليس فقط حتى لا تخرج من أيديهما وهو أمر هام جدا بالنسبة للغرب الذى اقنع الخديوى باتفاقية القناة أساسا لخدمة أهدافه ، ومصالحه الاقتصادية والسياسية ، ولكن أيضا حتى لا تنمو زعامة عبد الناصر وتتضخم ، بل لعل الدولتين وجدتا الفرصة سانحة لتنفيذ مخططهما بالقضاء على جمال عبد الناصر ...

وفجاة في ٢٩ اكتوبر تقدمت قوات من اسرائيل لتقوم بهجوم على مواقعنا دون اى سبب ٠٠،

اعلنت بريطانيا انها ان تستغل الفرصة ، وحيثما وجدت ان قواتنا تسيطر على ارض المعركة . حدث شيء غريب في ٣٠ اكتوبر ، حدث عبد الناصر الشعب فيه يوم ١ نوفمبر : « قدم الينا اندار بوقف القتال ، وقف القتال والقوات الاسرائيلية المعتدية لا تزال داخل الاراني المصرية ، ويطلب من مصر ومن اسرائيل الانسحاب عشرة اميال من قناة السويس ، ويطلب من مصر ومن اسرائيل النسايل ايضا

قبول احتسلال بور سعيد والاسماعيلية بواسطة القوات المسلحة البريطانية والفرنسية من اجل حماية الملاحة في القناة » . وقالت بريطانيا في انذارها « اذا لم يصل الرد في ١٢ ساعة فانها ستعمل على تنفيذ ذلك » .

واعلن عبد الناصر رفضه للاندار البريطانى ، ودوى صوته وهو يقول : « والآن أيها المواطنون ، ونحن نواجه هذا الموقف ، هل نقاتل أو نسلم »

« سنقاتل ایها المواطنون ، قوی الظام التی ترید انتهاك حریتنا ، . سنقاتل ایها الاخوة فی سبیل حریة مصر ، وفی سبیل حریة الشعب المصری ، سنقاتل كما كنا دائما ، فی حرب شاملة ، جنودها ، الشعب المصری جنبا الی جنب مع قواته المسلحة .

وقال فى نهاية خطابه التاريخى « ان كل فرد منكم جندى فى جيش التحرير الوطنى ، لقد صدرت الأوامر بتوزيع السلاح ، وعندنا منه الكثير ، وسنقاتل فى معركة مريرة ، سنقاتل فى كل معركة من قرية الى قرية ، ومن مكان الى مكان ، ليكن كل فرد منكم ايها المواطنون جنديا فى القوات المسلحة حتى ندافع عن شرفنا ، وحتى ندافع عن كرامتنا ، وحتى ندافع عن حريتنا . . وليسكن شعارنا اننا سنقاتل ولن نسسلم . ، سنقاتل د ، سنقاتل ولن نسلم » ، سنقاتل ولن نسلم » ،

(وأنا أعاهدكم أنى سأقاتل معلكم من أجل حريتكم ، كها عاهدتكم من قبل لآخر قطرة من دمائى)) .

وبعدها بيوم واحد ، وفى ٢ نوفمبر كان صوت عبد النساصي يدوى من فوق منبر الأزهر الشريف ، وهو يقول: أنا فى القاهرة وسأقاتل معكم ضد أى غزو ، وسنقاتل الى آخر نقطة دم ، ولن

شمام آبدا ، وسنبنی بلدا وتاریخا ومستقبلا ، وهذا شمار کل مصری ، واذا کانت بریطانیا تعتبر نفسسها دولة عظمی ، وتعتبر فرنسا نفسها دولة عظمی ایضا ، فسنعتمد علی الله ، وعلی انفسنا ، وسنجاهد ونکافح ، ونقاتل ، وننتصر باذن الله ...

ويروى جمال عبد الناصر القصة الحقيقية للعدوان في مجلة آخر ساعة ونترك جمال عبد الناصر يربوى أيضا هذه الحكاية كاملة ، فقد قال بالنص (١) :

ان العمليات العسكرية التي بدات في سيناء مساء ٢٩ اكتوبر لها مقدمة صغيرة أحب أن أمر بها قبل أن أدخل الى الموضوع .

مقدمة صغيرة ، مقدمة سياسية ، شهدتها مدينة نيويورك مقر الأمم المتحدة في مطلع شهر اكتوبر نفسه ، الذي شهدت الأيام الأخيرة منه عمليات سيناء .

فى اكتوبر بحث مجلس الأمن مشكلة قناة السويس ، وانتهى فيها الى مبادىء سستة تستهدف الوصول الى حل سلمى لهده الشكلة .

واى أن تدار حولها مفاوضات تكفل للعالم المهتم باللاحة فى قناة السويس كل ما يدعوه الى الاطمئنان على حرية الملاحة وعلى كفايتها ه.

والبل أن تنتهي جلسات مجلس الأمن ، وبعد أن انتهت جلسات

⁽۱) ۲خر ساعة ه ديسمبر ۱۹۵۲ .

محلس الأمن ، كانت هناك اجتماعات تعقد فى مكتب السيو داج همرشيلد ، السكرتير العام للأمم المتحدة ، ويشترك فيها الدكتور محمود فوزى ، وزير خارجية مصر ، والمسيو سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا ، والمسيو كريستيان بينو ، وزير خارجية فرنسا .

ولم تكن هذه الاجتماعات التى تعقد فى مكتب السكرتير العلم للأمم المتحدة ، وبحضوره ، هى المفاونسات التى دعا اليها مجلس الأمن ، وانما كانت من غير شك الاتصالات الاستكشافية التى لا به أن تسبقها .

وانتهت اجتماعات نيويورك الى تفاهم على بعض النقط .

ثم افترق المجتمعون على أن يلتقوا مرة ثانية قريبة ، ليواصلوا البحث ، ويتمسوا تنسيق وجهسات النظر ، وتركوا للمسيو داج همر شيلد مهمة تحديد موعد الاجتماع المقبل .

وثم تمض أيام حتى تلقت الحكومة المصرية رسالة من السكرتين العام للأمم المتحدة يقترح فيها مكان الاجتماع الجديد وزمانه . وكان الكان هو : جنيف .

وكان الزمان هو: يوم الاثنين ٢٩ اكتوبر .

وبعثت مصر من فورها الى السكرتير العام الأمم المتحدة تخطره بموافقتها على المكان والزمان اللذين اختبرا للاجتماع .

هذا بينما تلكأت الحكومة البريطانية ، والحكومة الفرنسية

هم بدأت الأخبار تجىء من لندن وباريس ، بأن الأمر ينطوى على اكثر من تلكؤ ، وبات واضحا أن لندن وباريس يحاولان انتحال المعاذي حتى تتهربا من الموعد المضروب يوم ٢٩ أكتوبر .

لله كانت الحكومتان ، حكومة لنسدن وحكومة باريس ، قد ارتبطتا بموعد آخر .

ن نفس يوم ٢٩ أكتوبر .

ن صحراء سيناء . . وليس في جنيف ،

ولم يكن الاجتماع مع مصر وانما مع اسرائيل .

ولم يكن لايجاد حل لمشكلة قناة السويس ، وانما القصد من الاجتماع الثلاثي الجديد ، هو تدمير مصر تدميرا شاملا . . أجل تدميرا كاملا شاملا .

وتلك هي الحقيقة التي لا تستطيع اطراف المؤامرة الثلاثية الآن انكارها أو التنصل من تبعاتها .

وهى الحقيقة التي لا يستطيع هؤلاء الاطراف الثلاثة أن ينتحلوا لها عدرا من اقدام الحكومة المصرية على تأميم قناة السويس .

لقد اوضحت المؤامرة ، طريقتها ، وخطتها ، والاطراف المستركة في تنفيذها أن الأمر لم يكن أمر قناة تمر في مصر ، وانما كان الأمر أمر معين كلها . . مصر نفسها بكل ما تمثله اليوم ، وكل ما تنادئ بعد ، وكل ما كرست حياتها من أجله ، لأنه دورها الذي لا مناص لها من القيام يه .

ان فرنسا مثلا لم تحاول أن تخفى أن حماستها في قتال مصر كانت دفاعا عن موقفها اليائس في الجزائر ،

وبريطانيا مثلا لم تحاول أن تخفى أن فى الجدور الدفينة لعملها ضد مصر ، أن قوة مصر العسكرية - كما قال المسئولون الانجليز فى مجلس العموم البريطانى - أصبحت خطرا يهدد بريطانيا .

ونفوذ مصر السياسي في المنطقة اصبح - كما قال نفس المسئولين الانحليز - خطرا يهدد نفوذ بريطانيا .

واذن فالمؤامرة لم تكن تقصد ايجاد حل لمشكلة قناة السويس . ولو كان ذلك هو الهدف لتم اجتماع جنيف .

وانما كان القصد أبعد من ذلك ، وأعمق ، وأشمل .

الأمر أمر بلد يريد أن يستقل .

ولكن هل يرضى له الاستعمار أن يستقل . . وكيف يستقل ؟ الأمر أمر بلد يريد أن يصبح قويا .

ولكن هل يرضى له الاستعمار أن يقوى .. وكيف يقوى ؟ الأمر أمر بلد كسر احتكار السلاح!

ولكن هل يرضى له الاستعمار أن يكسر احتكار السلاح ،ه:ه: وكيف يسمح له ؟

الأمر أمر بلد يدعو للحرية 4 يدعو بها لنفسه والآخرين ٠٠،

ولكن هل يتركه الاستعمار يدعو للحرية .. وكيف يتركه ؟ الأمر امر بلد يريد أن يحرد اقتصاده .

ولكن هل يرضى الاستعمار أن يتحرر اقتصاده . . كيف يتحروا

الأمر امر القومية العربية التي اصبحت عقيدة منطقة بأسرها ؟ ولكن ...

لقد كانت هذه هى الأسباب الحقيقية لاجتماع اطراف المؤامرة الثلاثية فى سيناء . . كانت تلك تمهيدا للمقدمة للعمليات العسكرية التي بدات مساء ٢٩ اكتوبر .

منف اللحظة الأولى التى تلقينا فيها التقارير عن الهجوم الاسرائيلى ادركنا اننا نواجه هجوما عسكريا حقيقيا وليس مجرد حادثة من الحوادث التى كثر تكرارها على الجنود .

وكانت الأنباء الأولى عن هذا الهجوم تبين أن اتجاهه كان: الطريق الجنوبي من سيناء . .

وهو طريق لم يكن الاسرائيليون يستطيعون منه الحاق اى خسائر بافرادنا . . هذا واذا كان الأمر مجرد غارة من الغارات التي يشنونها للانتقام .

ذلك أن كل مراكزنا على الطريق الجنوبي خالية تماما . . ليس فيها الا نقط حدود لمجرد الانذار والتبليغ .

ولقد كانت أوضاعنا الدفاعية في ذلك اليوم كما يلي:

■ قطاع غزة: دكان الحرس الوطنى يتحمل مسئولية الدفاع عنه من غير عتاد ثقيل مع الطلائع الأولى لجيش فلسطين ، فقد كنا نعوك دائما أنه من الناحية العسكرية البحتة يسهل عزل هذا القطاع من باقي الجبهة ...

- خط الحدود المصرية ـ الفلسطينية: وكانت هناك ست كتائب من القوات المسلحة النظامية تتولى الدفاع عنه على النحو التالى:
 - 1 رفح: ويتولى الدفاع عنها كتيبتان من المشاة بأسلحتهما م
- ٢ ــ العريش: ويتولى الدفاع عنها كتيبتان من المشاة بأسلحتهما
 ومنها اورطة من دبابات الشيرمان الأمريكية ، وكذلك كانت
 العربش مقر منطقة الشئون الادارية ،
- ٣ ـ ابو عجيلة: ويتولى الدفاع عنها كتيبتان من المشاة بأسلحتهما المعاونة م
- وكانت كل قوة الجيش الضاربة تعسكر غرب القناة . وكان تقديرنا العام للموقف - الذى بنى على أساسه توزيع قواتنا في الجبهة - هو كما يلى:
- اذا كان هدف اسرائيل هو القيام بحوادث أو غارات فان اتجاهها يجب أن يكون اما الي قطاع غزة واما الي مواقعنا المتقدمة على الحدود ،

فهناك يمكن الحاق خسائر بنا في الأفراد تخدم الفرض المقصود من القيام بالحوادث والفارات م،

أما اذا كان هدف اسرائيل هو القيام بهجوم عام على مصر من فان الطريق الله يجب أن تأخذه قواتهم هو الطريق الجنوبي حتى تستطيع قواتهم القيام بحركة التفاف حول الطريق الأوسط المودي الى أبو عجيلة م

والأن فيجب أن تبقى قواتنا النارية بعيدة الى الوراء ، حتى تكون فى الموقف الذى يسمح لها باختيار الوضع الملائم لها ، واختيار مكان المعركة .

كان هذا هو التقدير العام للموقف ،،

وضع منذ اغسطس ١٩٥٥ ، وظل ساريا حتى يوم ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٥٦ يوم بدأت المؤامرة .

وحين أتكلم الآن عن قوات العدو ومواقعه ، فأنا لا أعتمد في هذا على الاستنتاج ولا على الظن .

وانما افعل ذلك معتمدا على الحقائق المستمدة من وثائق العدو ذاتها ..

لقد أسقطت مدفعية الأردن طائرة الكولونيل « اساف سمحونى » الذى كان مكلفا بقيادة عمليات سيناء ، كانت أوراق الضابط الاسرائيلي بقرب جِثته مع حطام الطائرة .

ومن هذه الأوراق ، وعلى أساس ما فيها ، مؤيدا بما رأيناه المامنا فعلا من تحركات وعمليات . . أبنى كلامي .

لقد كانت الخطة الاسرائيلية ـ أو بمعنى أدق دور اسرائيل في المؤامرة الكبرى ـ كما يلى طبقا لنصوص الوثائق وبينها أوامر الممليات الفعلية التي كانت مع جثة آساف سمحونى:

1 - اللواء رقم ٢٠٢:

ومهمته احتلال ممر متلا . .

وعملياته لتحقيق هذا الهدف هى: تهبط الكتيبة رقم . ٨٩. بالجو عند سدر الحيطان ـ تتحرك قوات اللواء من الكونتيلا ثم الي نحل ثم الى سدر الحيطان ثم تتجه الى ممر متلا ،

٢ - الجموعة رقم ٣٨ الكونة مما يلي:

اللواء السابع المدرع ـ اللواء الرابع المشاة ـ اللواء السابع والثلاثون مشاة ـ ومهمتها التقدم رأسا الى الاسماعيلية بعد احتلال أبو عحيلة .

٣ - المجموعة رقم ٧٧ المكونة مما يلي:

اللواء السابع والعشرين المدرع _ اللواء الأول المشاة _ اللواء الحادى عشر مشاة _ وكانت مهمتها ان الحادى عشر مشاة _ وكانت مهمتها ان تحتل رفح والعريش ، ويذلك يتم عزل قطاع غزة ، ثم يتم احتلاله .

- اللواء التاسع:

وكانت مهمته أن يتحرك من أيلات ألى شرم الشيخ لاحتلالها الله وكان معنى هذه الخطة أن القوات الاسرائيلية تتحرك على على الجبهة الاصلية ، في ثلاثة محاور بي

المحود الأول: اواء من المشاة وكتيبة من الهابطين بالبراشوك على ممر ميتلا .

المحود الثانى: لواء مدرع من لواءين من الشاة على أبو عجيلة تم الاسماعيلية .

المحور الثالث: لواء مدرع مع ثلاثة الوية من المشاة على رفيح والعريش وغزة .

ولم تكن لنا مواقع في مواجهة محور الحركة الاسرائيلي الأول. أما المحور الثاني فلم يكن لنا أمامه الاكتيبتان في موقع أبو عجيلة .

وفى المحور الثانى كان كتيبتان من المشاة مع الاسلحة المعاونة فى رفح . . وكتيبتان من المشاة واورطة دبابات شيرمان مع الاسلحة فى العريش . وبدأت العمليات يوم ٢٩ اكتوبر مع غروب الشمس .

وكانت الحوادث تجرى بسرعة مساء ٢٩ اكتوبر . تحركت القوات الاسرائيلية من ايلات الى الكونتيلا: الى تمد من غير مقاومة ـ بالطبع ـ لانه لم تكن لنا قوات فيها حيث ان وضع

أى قوات في هذه المنطقة يعرضها للعزل .

وفى نفس الوقت هبطت كتيبة المظلات عند مضيق سدر الحيطان .

أنه هجوم عام .

وتتبعنا اخبار العالم: نحاول أن نعرف رد الفعل ، خصوصا في لندن وباريس .

ومن لندن جاء على لسان المتحدث الرسمى لوزارة الخارجية البريطانية ، ان الحكومة البريطانية لا تنوى استفلال القتال الذئ نشب فجاة في سيناء لصالحها .

واذن ، فتوضع خطتها لمواجهته موضع التنفيد . . وعلى الفور كان هيكل خطتنا هو :

دفاع الحدود ،

وحركة في الداخل . .

دفاع على الحدود يشفل العدو ويعوق تقدمة ،

وحركة فى الداخل تتجه الى مراكز حشد تتحرك منها قواتنا الضاربة لتواجه العدو فى المعركة الفاصلة ، فى المكان والزمان اللذين يلائمانها ويحققان لها أوفر عوامل النصر . . وكان تقديرنا أن يتم ذلك يوم ه أو ٢ من نوفمبر ،

وهكذا في نفس الليلة - مساء ٢٩ اكتوبر قامت قواتنا بالتحركات التالية:

- واء من المشاة يتحرك الى ممر ميتلا في مواجهة سدون الحيطان ليمنع تحرك قوات العدو غرب سدر الحيطان من
- كتيبة مشاة تتحرك على الطريق الساحلى الى العريش لتعزيز دفاعها .
- تواتنا الرئيسية الضاربة ، مجموعتان عاملتان من المدرعات نوامهما دبابات ت ٣٤ التشيكية ومدافع س.ى ١٠٠ الروسية مع قوات المشاة الرئيسية ، وكان للحشد ، وقبل منتصف الليل ، كانت هذه القوة تعبر قناة السويس الى الشرق ، متجهة باقصى مبرعتها الى الكان المحدد لها ،

وحتى هذا الوقت لم يحدث قتال بيننا وبين المدو، ولا دارت الشتباكات ،

وطلع صباح ٣٠ أكتوبر ٠٠٠

وبدأت الاشتباكات ..

وكانت مقاتلات سلاح الطيران المصرى طليعة المعركة مع اول نفسوء في الفجر .

وكان تركيزها الأول على كتيبة المظلات في سدر وعلى اللواء المتقدم لتعزيزها على الطريق الجنوبي وقد استطاعت هذه المقاتلات فعلا أن تعوق تقدم هذا اللواء الى نخل التي كانت منتصف طريقه الى تعزيز جنود المظلات .

اما النشاط الأرضى فى ذلك اليوم فكان كله او معظمه تحركات هلى الطريق الأوسط الى منطقة التجمع فى بير دوض سالم . وبدأ العدو نشاطه فى الصباح على القسيمة .

وكانت لنا فى القسيمة كتيبة استطلاع تستعمل عربات الجيب ، وكان عملها الأساسى تأخير تقدم العدو ، وانسحاب أمامه لتنضم الى قواتها الأصلية فى أبو عجيلة وتستعمل فى انسسحابها طريق الأسفلت بين القسيمة وأبو عجيلة .

واستطاعت هذه الكتيبة ان تشغل العدو وتضيع عليه النهار ظوله ، فلم يتأهب لهجومه على آبو عجيلة الا عند الليل .

ولم تستطع هجمات الليل ضد ابو عجيلة ان تؤثر في مقاومتها ، وأعود الآن فأذكر ان المعركة في ابو عجيلة كانت تدور بين : لواء مدرع اسرائيلي ولواء من المشاة .

ضد كتيبتين من المشاة مع أسلحة معاونة .

ومع ذلك ـ اعود فأقول ثانية ـ لم تستطع هذه القوات المهاجمة

ان تتغلب على مقاومة القوات المصرية المدافعة عن أبو عجيلة التى كان المدو يريد أن يقضى بأسرع ما يمكن على مواقعها الدفاعية وبهذا يندفع غربا ألى الاسماعيلية فى عملية سريعة خاطفة ومن هنا يتبين لماذا حشد العدو ضد هذا الموقع الذى يتكون من كتيبتين من المشاة أواء مدرع ولواءين من المشاة .

ولم يضيع العدو وقتا في سبيل تحقيق غرضه ، وفي ليلة .٣١/٣٠ بدأ هجوم ليلي ضد ابو عجيلة .

ولم يستطع العدو أن يحقق أى نجاح . . وفشل الهجوم نا وطلع صباح ١١ اكتوبر لينسحب العدو بعيداً عن نيران أبو عجيلة.

ولكنه انسحب لينظم نفسه ويبدأ هجوما نهاريا ضد الموقع ، مع تمهيد من طيرانه للهجوم بغارات مستمرة ضد مواقعنا في أو عجيلة .

واستطاعت قوات أبو عجيلة أن تسقط ثماني طائرات ،

وفشل هجوم العدو بعد أن تكبد خسائر كبيرة في الدبابات ... اربعون دبابة تركت في أرض المعركة بالإضافة الى خسائره الكبيرة في الأفراد ..

وانتهى نهار ٣١ بدون أن يحقق العدو أى نجاح ، ولكنه انسحب منهزما يعد أن تكبد خسائر فادحة ،

وكان النشاط على الأرض فى نفس اليوم ... فيما عدا هذا الذي ذكرته واستطردت فيه عن أبو عجيلة هو :

استمرار حشد القوة الضاربة المدرعة في منطقة بير روض سالم تمهيدا ليوم المعركة الفاصلة .

● تقدم طابور مدرع خفيف عبر الصحراء عن طريق « وادئ الليز » فانقض من الناحية الأخرى على الفرقة الهابطة بالباروشوت حتى يمنع تعزيزها ويشارك في ابادتها واحتلال موقها .

واترك العمليات العسكرية هنا قليلا . . الى العمليات السياسية التي جرت في نفس اليوم _ يوم ٣٠ اكتوبر .

وينبغى هنا ان اقول على الفور: ان الاندار البريطانى كان مفاجأة لنا . . كنا نحسب حساب عمل عدائى ضد مصر من بريطانيا وفرنسا ، ولكن كنا نستبعد ان تشترك بريطانيا مع اسرائيل فى هذا العمل .

وكان احتمال تدخل الانجليز في معركة سيناء بشكل أو بآخر قائما في حساينا ولكنه لم يكن الاحتمال الفالب وكانت نسبته لاذا كان لابد أن استعمل الأرقام ـ هي خمسون في المائة فقط .

ولما جاء الاندار ارتفع احتمال التدخل العسكرى البريطانى ضدنا الى سبعين فى المائة . ولكن مرة أخرى لم اكن واثقا تماما من ان هذا الاحتمال سهل الوقوع .

وكنت احاول أن اقدر الموقف من الناحية البريطانية .

بل وكنت أحاول أن أضع نفسى مكان رئيس وزراء بريطانيا واسأل نفسى:

_ اذا كنت مكانه .. فكيف أتصرف ؟

وكان اعتقادى ان أى عملية عسكرية تقدم عليها بريطانيا ضدنا ح وخصوصا ومن باب أولى أذا كانت تقدم عليها متحالفة مع فرنسا وأسرائيل لل تكون لها نتيجة بالنسبة لبريطانيا الا كارثة محققة ، بصرف النظر عن النتيجة العسكرية البحتة التى يمكن أن يسفر عنها القتال .

ان بريطانيا لها مصالح هائلة في الشرق الأوسط ، وحماقة مسكرية من هذا النوع ستقضى على هذه المصالح .

وليس معنى هذا الى كنت اعتقد ان الحديث عن استعمال القوة ضد مصر « تهويش » وانما معناه الني كنت استبعد ان يلجأ مسئول بريطاني الى مثل هذه الخطوة .

وعلى أى حال فلقد ارتفعت نسبة اقدام بريطانيا _ كما قلت على عمل عسكرى ضدنا _ بعد هذا الانذار _ الى سبعين فى المائة . ومع ذلك _ اقولها ثانية _ ظلت فى تصويرى للامر بقية من شــك .

كنت اتمثل مصالح بريطانيا في المنطقة .

البترول ، انابيب البترول ، ، التجارة ، ، الثقافة ، النفوذ السياسي ،

ثم فى نهاية القائمة: قناة السويس ، الشريان الحيوى لبريطانيا انها سوف تتعطل دون شك .

وفوق هذا) أن العمل العسكرى ضد مصر أن يكون سهلا تعمل عسكرى م ولقد رفضنا الانذار البريطاني م

وسبعون فی المائة من تصوری انه مقدمة لعمل عسکری ، ولکن ثلاثین فی المائة من تصوری کانت تتخیله حرکة سیاسیة براد بها تعقید لما هو معقد فعلا .

تخيلت أن بريطانيا تريد منا الا نحشد جميع قواتنا ضدا اسرائيل وبهذا تستطيع اسرائيل أن تحصل على نصر رخيص في الوقت الذي نحجز فيه جزءا من قواتنا اللاقاة بريطانيا .

وأعود الى الموقف العسكرى صباح يوم ٣١ اكتوبر ، كان سلاح الطيران للمرة الثانية هو الطليعة .

كانت قاذفات قنابلنا طوال الليل على مطارات العدو في المرائيل ، وكانت هناك عشرون غارة على هذه المطارات .

وكانت المقاتلات المصرية من طراز ميج ١٧ قد فاجأت العساو بظهورها ، واثبتت تفوقها على طائرة « المستير ٤ » الفرنسية التي كان العدو يستعملها ويستعملها معه سلاح الطيران الفرنسي ، الذي كان قد دخل المعركة فعلا بجانب الطيران الاسرائيلي .

ولقد تاكدنا من تفوق « الميج ١٧ » فوق مطار كبريت المصرى نقد جاءت ثماني طائرات للعدو تضربه .

وتصادف عودة ثلاث من الطائرات المصرية من هذا الطراز من عملياتها فوق الجبهة ، واذا هى تصل الى مطارها ــ مطار كبريت ــ وطائرات العدو فوقه .

وتدخلت الطائرات المصرية الثلاث فى المعركة من غير انتظار ، وانقضت على طائرات العسدو ، واستطاعت كل واحدة منها أن تسقط واحدة من طائرات العدو بينما لجأت باقى الطائرات الى الهرب .

اما النشاط على الأرض فقد كان ما زال دائرا حول أبو عجيلة بدون أن يحقق العدو أغراضه .

وقبل أن ينتهى اليوم انكشفت حدود المؤامرة واستبانت خفاياها .

في السمايعة مسماء كنت في بيتي أقابل السمفير الاندونيسي .

وسمعت صوت صفارات الانذار . . ثم سمعت مباشرة ازيز الطائرات المغيرة .

وادركت على الفور انها غارة بريطانية .

كانت الطائرات المغيرة نفاثة .

والطائرات النفاثة الوحيدة في شرقى البحر الأبيض 6 لا يمكن إن تكون الا واحدة من نوعين .

الأليوشين ٢٨ الذي تملكه مصر ه:

أو الكانبيرا البريطانية 10

وتيقنت على الفور أن بريطانيا تدخلت عسكريا في المعركة ٠٠

واردت أن أتأكد على أى حال ، فتركت السمي الاندونيسو وصعدت الى سطح المنزل أراقب الغارة . . وأسمع صوت الطائرات لاتأكد أنها طائرات بريطانيا .

ثم تلقيت بعدها الاعلان البريطاني - الفرنسي عن بدء عمليات حربية ضد مصر .

وعلى وهج المصابيح المستعلة التي كانت الطائرات المغيرة تلقيها على مطار القاهرة الدولي ، وكانت الغارة البريطانية الأولى عليه ، رايت المؤامرة كلها . .

ولم يكن الوهج يكشف منطقة المطار وحدها ...

وانما كان هذا الوهج يكشف في أفكارى منطقة الشرق الأوسط بأسرها . .

اذن فالهجوم الاسرائيلي لم يكن هدفه الا عودة قواتنا الرئيسية الى سيناء ، ثم اقفالها وقطع الطريق عليها باحتلال منطقة القناة ، وبهذا يحقق العدو هدفين:

الهدف الأول: تحطيم قواتنا العسكرية شرقى القناة تحطيما تاما بعد حرمانها من الساعدة الجوية .

الهدف الثانى: دخول مصر واحتلالها بدون مقاومة اذ أن مصر ستكون بغير جيش يدافع عنها .

وكان واضحا أن علينا في هذه اللحظة أن نراجع خططنا .

وخرجت من بيتى الى مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة ، وكان هناك اجتماع كبير استقر رأينا فيه على ضرورة الانسحاب السريع من سيناء ، وتوحيد نشاطنا العسكرى كله غرب القناة ، كان اجتماعنا قد استغرق ساعتين .

بدأ في الثامنة وانتهى في العاشرة . ،

وكان أهم جزء في خطتنا أن يتم الانسحاب بسرعة قبل أن يفلت الوقت ، ويتحقق للعدو ما أراد .

تنسيحب جميع قواتنا من الحدود الى منطقة القناة ..

على ان يتم الانستحاب على ليلتين : ليلة ٣١ اكتوبر و ١ نوفمبن وليلة ٢/١ نوفمبن ٠

فى الليلة الأولى: ٣١ اكتوبر / ١ نوفمبر يتم انسحاب قوات رفح مستخدمة الطريق الشمالي .

يتم انسحاب نصف القوات المتجمعة في منطقة الحشد عنسة بير روض سالم .

فى الليلة الثانية : يتم انسحاب القوات الرئيسية فى العريش . القوات الرئيسية فى أبو عجيلة .

على أن تترك كل منها جماعات خلفية لتعطيل العدو حتى ظهر ٢ نوفمبر .

ولم يكن في امكاننا أن نقدر لاتمام الانسحاب أقل من هذه المدة .. بل لقد كانت معجزة أن يتم الانسحاب في مثل هذه المدة .

وكنا في سباق مع الساعات ٠٠ بل مع الثواني !

وكانت تلك الفترة ، مساء ٣١ أكتوبر مع أول نو فمبر ، من أخطر الفترات في تاريخنا . .

وحين صدرت اوامر الانسحاب الى قوات رفح كان العدو قد بدا .

هجوما مركزا عليها . ..

كان لا بد أن تبدأ قواتنا في رفح بالانسحاب . . واتصل قائد رفح بقيادته يقول:

« أنه يستطيع أن يقاوم هجوم العسدو ويحتفظ بمواقعه .. أما الانسحاب تحت ضغط العدو فسيكون أمرا صعبا للغاية » .

وتلقى قائد رفح بأن عليه الانسحاب قبل أول ضوء ، وأن عملية انسحابه متصلة بخطة كبيرة . .

وفى نفس الوقت الذى كانت رفح تنسحب فيه ، كانت القوة الرئيسية المتجمعة فى منطقة الحشد فى بير روض سالم قد اعادت نصف قواتها فى اتجاه الغرب الى قناة السويس ، ومع أن أضواء الصباح ادركتهذه القوة قبلعبور القناة ، وبالتالى أدركتها طائرات العدو البريطانى ـ الفرنسى ـ وراحت تهاجمها الا أن انسحابها تم بنجاح ولكنها تكبدت خسائر معظمها فى العربات نتيجة الهجوم الجوى البريطانى الفرنسى .

ثم عاد العدو الى تركيز هجومه على ابو عجيلة الذى كان قد فشل مرتين فى الاستيلاء عليها من الأمام ولكنه الآن غير خططه وبدا فى ليلة ٣١ أكتوبر وأول نوفمبر يهاجمها مرة ثالثة .

وفي هذه المرة كان الهجوم من الأمام والخلف . .

حرك العدو بعض قواته حول أبو عجيلة وبدأ هجومه من الخلف بالاضافة الى الهجوم الأمامى . .

واصطدمت القوات المهاجمة من الخلف بقوة منفصلة قوامها سرية مشاة عند سد الروافعة .

واستطاعت هذه السرية أن توقف تقدم العدو _ لقد كانت

مفاحأة للقوات المهاجمة حولت العدو عن غرضه فاستدار البها يهاجمها .

ولقد تكبدت هذه السرية خسائر كبيرة . ولكنها منعت العدر من تحقيق غرضه . .

ولم يستطع أن يكمل عمليته الأصلية بالهجوم على أبو عجيلة ، أما الهجوم الأمامي الذي بدأ في الساعة الثالثة بعد منتصف الليل فقد استطاع أن ينجح في الاستيلاء على جزء من المواقع .

ومع ذلك ـ وبرغم ذلك ففى أول ضوء يوم الخميس قامت قوات أبو عجيلة بهجوم مضاد استعادت فيه الواقع من الاسرائيليين بعد أن تركوا فى أرض المعركة ٧٠ عربة مصفحة نصف جنزير .

واكثر من ذلك استمرت قوات أبو عجيلة في التقدم الى منطقة تجمع العدو واستطاعت أن تحتل هذه المنطقة .

وهكذا في صباح الخميس ١ نوفمبر بعد كل هذه العمليات عاد الموقف كما كان يوم ٢٦ أكتوبر ٤ وزاد عليه أنه كان في أرض المعركة ١٠٠٤ دبابة اسرائيلية و ٧٠ عربة نصف جنزير .

ووصلت طائرات العدو ...

وبدأت بضرب الدبابلت والعربات التي تركت في أرض المعركة حتى لا تقع في يد قواتنا ...

وبعد أن انتهت من هذا الواجب بدأت في ضرب مواقع ابو عجيلة مرة أخرى ٠٠

وجاء يوم أول نوفمبر ..

وكان الطيران المصرى هو الطليعة للمرة الثالثة ...

ففي نفس الوقت الذي كان العدو البريطاني الفرنسي ، يغير فيه

علينا ، وعلى مطاراتنا كلها ، كانت قاذفات قنابلنا قد قامت بعشرين غارة ثانية على مطارات اسرائيل . .

وكانت مقاتلات العدو تحاول عرقلة انسحاب قواتنا الرئيسية . اما النشاط الأرضى فقد كان كله مركزا ــ مرة اخرى ـ حول أبو عجيلة . . .

وأخطر قائد أبو عجيلة بأن عليه أن يحاول الانسحاب بدوره هو الآخر ، بعد أن ينتهى دوره في ستر الانسحاب .

ورد قائد أبو عجيلة بأن العدو يحاصر مواقعه من كل ناحية ، ولكن مواقعه كلها متماسكة . .

ومع مجيء الظلام اتصل قائد أبو عجيلة بقيادته يقول:

« انه سيامر بعض قواته ان تتسلل خارجة من مواقعها حاملة اسلحتها الخفيفة حتى تنضم الى قوة العريش وتنسحب معها ، انه سيدمر كل ما لديه من سلاح ثقيل حتى لا يقع فى يد العدو » .

ونفذ قائد أبو عجيلة ما قاله فعلا ...

وأخلت قواته تتسلل فردا فردا من خلال مواقع العدو الذى كان يحيط بها من كل ناحية . .

ولم يبق فى أبو عجيلة غير قوة مؤخرة كان يتعين عليها أن تقاتل طوال يوم ٢ نوفمبر ثم تنسحب بالليسل ، بعد أن تكون عملية الانسحاب الكبيرة كلها قد نفذت فعلا .

أما قوة العريش فقد استطاعت أن تنسحب قبل صباح ٢ نوفمبر رغم تعرضها لغارات جوية مستمرة دمرت عددا كبيرا من عرباتها ..

ثم جاء يوم ٢ نوفمبر ..

آخر يوم في خطة الانسحاب .

كان نشاط العدو الجوى الذى اقصده هو العدو الاسرائيلى . وانما كان العدو في سيناء ذلك اليوم هو العدو البريطاني الذي راحت طائراته في هجمات مغيظة على الانسحاب الذى افسسد المؤامرة سد تحاول الحاق أكبر قدر من الخسائر بالنصف الشاني من القوة الرئيسية العائدة من مركز الحشد في بير روض سالم .

وكانت اكبر خسائرنا في العربات ، فقد كانت طلقات المدافع الرشاشة من طائرات العدو تنفذ اليها وتعطل سيرها .

اما فى ابى عجيلة فقد كانت قوة حماية المؤخرة ما زالت تقاوم والم يكن العدو قد كشف بعد تسلل جزء كبير من قوة أبو عجيلة .

وقال قائدها انه سينقل الجرحى أولا الى الفردقة بقوارب تعبر البحر الاحمر عند مدخل خليج السويس .

وقال القائد أيضا أن انسحاب قواته قد يكون متعذرا وأنه لهذا يؤثر الدفاع عن موقعه .

وخرجت القوارب تحمل الجرحي فعلا ...

وكانت هناك سفينة تدريب صغيرة هى السفينة دميساط، والتقت هذه السفينة الصغيرة بثلاث مدرعات كبيرة من مدرعات الأسطول البريطاني تتقدمها المدرعة نيوفوندلاند ، واذا المدرعات الثلاث تركز نيرانها على سفينة التدريب الصغيرة .

وهكذا قصد الأسطول البريطاني من البحر شرم الشيخ . بينما تقدم اللواء الاسرائيلي التاسع الى مهاجمتها من الأرض . وفي الوقت نفسسه كان فوقها تركيز كبير بالطيران المسادي خصوسا من طيران فرنسا ...

وفى يوم ٦ نوقمبر ٠٠ بعد أسبوع كامل استطاع العدو احتلال شرم الشبيخ .

وأعود الى عملية الانسحاب مرة أخرى ، لقد شعرت على الفور ساعة أخطرت أن عملية الانسحاب قد تمت أن مصر كسبت المعركة ، حين أحبطت خطة العدو . .

كانت خطة العدو هي تدمير قواتنا المسلحة كلها تدميرا كاملا ، ومن ثم يصبح من السهل بعدها سحق مصر .

وكانت مناورة العسدو باستعمال اسرائيل في مؤامراته ان يستدرج قواتنا المسلحة الى العراء في سيناء ليعزلها ويقضى عليها .

ولو أن قرار الانسحاب كان قد تأخر أربعا وعشرين ساعة فقط لكان الأمر كله الآن قد أنتهى . .

ولقد خسرنا خلال عملية الانسحاب ..

خسرنا مثلا تلاثين دبابة من طراز ت ٣٤ التشيكي نتيجة للضرب البريطاني من الجو ، ولكني لا أقول اثنا خسرنا هذه الدبابات .

فان حسابي يختلف .

انا اقول اننا كسبنا ١٧٠ دباية ..

لقد كان لنا فى منطقة التجميع عند بير روض سالم ٢٠٠ دبابة ، ولو كان الانستحاب تأخر لكنا خسرناها حتى آخرها ، ولهذا فأنا أقول اننا كسبنا ١٧٠ دبابة ..

ولقد كان سهلا علينا على أى حال أن نستعيض عن الثلاثين دبابة التى فقدناها بثلاثين أخرى من نفس الطراز . . .

والأمر كذلك في العربات المدرعة ...

لقد خسرنا منها خمسين ٠٠،

ولكنى أقول أننا كسبنا مائتين وخمسين ٠٠

فقد كان لنا هناك ثلاثمائة ، لو كان الانسحاب تأخر لضاعت كلها . .

ولقد خسرنا أورطة دبابات الشيرمان التى كانت فى العريش لانها لم تستطع تكملة الانسحاب ولكنا كسبنا دباباتنا من طراز متالين ودباباتنا من طراز سنتريون ودباباتنا من طراز AIIIX وهذه كلها هى الأعمدة الضخمة التى تستند عليها قواتنا المدرعة، فقد كسبناها كلها ، ذلك أن هذه المدرعات لم تكن قد عبرت القناة الى الشرق وكانت على أى حال في طريقها الى هناك عندما صدر قرار الانسحاب . . فلما صدر وقفت كلها مكانها ونجت كل واحدة منها .

أما ما فقدناه من العربات فقد عوضيناه جميعيه من مخازن الجيش البريطاني في قاعدة القناة .

وكان في مخازن الجيش البريطاني في القاعدة الغا عربة منها ، اخذناها جميعا . .

بقى أن كل ما فقدناه لم يكسبه العدو . .

الدبابات التي خسرناها لم يلحقها العدو الا وهي محطمة لا تنفع للقتال . .

والعتلاد الذى وجده العدو في مواقع أبو عجيلة تم نسغه كله ، غير سبعة مدافع من طراز ٢٥ رطلا ، وجدها العدو سليمة ، وبحالة تسميح له باستخدامها ، تبقى العربات سواء ما كان منها مدرعا أو ما كان خفيفا ، وقد كان ما خسرناه منها قرب الضفة الشرقية من القناة عندما اشتد تركيز الضرب من الطائرات على قواتنا المسحبة عبر القناة ...

هذه هي كل عمليات سيناء ٠٠٠

لم تكن هناك الا معركة حقيقية واحدة هي معركة أبو عجيلة ، وكان القصد منها تغطية عملية الانسحاب كلها .

ولقد تمت عملية الانسحاب ، واقول وأنا واثق مما أقوله ، أن هده العملية تعتبر معجزة في التحركات في الظروف التي تمت فيها ، فقد كان سلاحنا الجوى قد خرج من المعركة صباح يوم 1 نوفمبر وكانت قواتنا البيطاني تحت ضفط سلاح الطيران البريطاني والاسرائيلي ،

أما بالنسبة لموقع ابو عجيلة فان العدو لم يستطع التفلب على المقاومة فيه الا بعد أن كان الموقع قد أدى الغرض من مقاومته ، ثم بعد أن كانت القوة الأساسية في الموقع قد تسللت منه مشيا على الأقدام عبر خطوط العدو وكان آخسر من وصل منهم تراجع الأمرالاي سعد متولى قائد قوة أبو عجيلة .

لقد أثبتت التجربة العملية أن قوات اسرائيل الرئيسية عجزت أمام أبو عجيلة من يوم ٣٠ أكتوبر إلى يوم ٢ نوفمبر ولم تدخل الموقع الا بعد أن تم انسحاب القوات التي كانت تحتل أبو عجيلة .

وعند غروب شمس ٢ نوفمبر اعلنت اسرائيل انها استطاعت الاستيلاء على ابو عجيلة .

وهناك سؤال: لماذا لم تقم اسرائيل وحدها بتنفيذ الوامرة، ولماذا اشتركت بريطانيا وفرنسا معها؟

او كانت اسرائيل تستطيع ذلك وحدها لكانت بريطانيا وفرنسا ، تركتا لها وحدها مهمة الحرب ضد مصر وقدمتا لها ما تحتاج اليه من مساعدات من غير ضجة ومن غير أن يشعر أحد .

وكانت المعركة يومها تبدو أمام العالم ، وكأنها مصر واسرائيل ، وليست مصر وحدها ضد بريطانيا وفرنسا واسرائيل . . .

ولقد اعطتنا التجربة الجديدة معلومات عن جيش اسرائيل ازالت من خيال الكثيرين الاسطورة الخرافية التي حاولت اسرائيل على مدى السنوات السبع الماضية أن تبثها في القلوب وفي العقول.

ان اسرائيل لم تستطع أن تتقدم أمام قواتنا الا عندما كانت الأوامر قد صدرت الى هذه القوات بالانسحاب بعد تدخل بريطانيا وقرنسا .

بل ان اللواء ٢٠٢ الاسرائيلي لم يستطع ان يتصل طوال يوم ٣٠ بكتيبة المظلات التي اسقطت في سور الحيطان رغم عدم وجود اية مقاومة الرضية ولكنه أوقف بفعل الطائرات المصرية التي كبدته خسائر كبيرة ولم يستطع أن يصل تمد قبل ليل ٣٠ نوفمبر .

وكذلك لم تستطع اسرائيل احتلال اى بلدة من البلدان التى احتلتها كفزة ورفح والعريش ، الا يوم ٢ نوفمبر وبعد أن كانت عملية الانستجاب من سيناء كلها قد انتهت وتمت بنجاح . واعتقد ان الدنيا كلها تعلم أن خطة الانستجاب لم تكن بسبب اسرائيل .

بقى ان اقدم دليلا صغيرا ماديا ، هو دفتر عمليات الكولونيل اسمحونى اللى قاد عمليات سيناء الذى وجدت أوراقه بجانب جثته بعد ان اسقطت المدفعية الاردنية طائرته وهو عائد الى بل أبيب بعد انتهاء العمليات .

لقد تمت ترجمة المذكرات العبرية التي خطها « سمحوني » بيده قبل أن يواجه مصرعه .

لقد كتب عن عمليات الطريق الجنوبي التي قام بها اللواء ٢٠٢ يقول ما نصه نقلا عن العبرية :

اللواء يتقدم الى تمد ونخل . . اللواء ـ ٢٠٢ يطلب طائرات
 لاجلاء الجرحى . . .

- القوات معرضة لضرب شديد من الجو م
- شاط العدو مستمر طول اليوم ولم نستطع نقل الجرحى مم وكذلك كتب سمحونى بيده عن عمليات المجموعة ٣٨ التي تولت الهجوم على أبو عجيلة يقول ما نصه نقلا عن العبرية:
 - اللواء السابع المدرع يتقدم تجاه أبو عجيلة ،
 - بعد أن أحتل أبو عجيلة هدفنا سيكون الحسينة م
 - اللواء السابع المدرع جنوب أبو عجيلة ،

هذه هي ملاحظاتي عن العملية:

- ١ . لم تكن هناك أوامر ثابتة للعمليات .
- ٢ ـ لم يكن هناك أي تنسيق من الرئيس الأعلى ...
- ٣ _ غرفة العمليات لم تكن تخدم الفروع المختلفة ..
- ع _ لم يكن القائد ولا أركان حربه في القيادة في بعض الاوقات من
- ه ـ لم تكن هناك اتصالات مستمرة مع الوحدات ولم تكن هناك تقارير من القواد الكبار ،
- ٦ الأوامر كانت تصدر من القائد ولكن قرع العمليات لم يكن يتولى تنسيق النشاط .
 - ٧ ضابط فرع العمليات لم يقم بادارة العمليات م
- ٨ ــ كل الضباط فى فرع العمليات هجروا اعمالهم ولم تكن لهم مهمة الا انهم اصبحوا مجرد ضباط اتصال .
- ٩ ــ غرفة ضابط العمليات الحربية تأخرت فى العمل ويجيب ان
 تكون ملاصقة لغرفة الحرب المالية
 - . 1 .. لم تكن هناك فائدة جدية من فرع المخابرات .

11 ــ جرت محاولة السيطرة على الوحدات بواسطة جهاز اتصال ، نجح ، ولكنه لم يواصل ، وعطب .

.. - 17

ملاحظة ـ لم يكن في الوحدات اي نوع من أنواع الترفيه ...

هذا هو وصف قائد القوات الاسرائيلية في سيناء .

ان صوته من وراء القبر يتكلم ويروى حقيقة جيش اسرائيل . بقيت ملاحظة تبين الى أى حد نجحت خطة الانسحاب في انساد

المؤامرة ..

لقد كان هدف المجموعة ٣٨ طبقا لاوراق سمحونى ان تصل الاسماعيلية وتلتقى هناك بالقوات الفرنسية البريطانية .

لقد فشل هذا كله وتبدد كما يتبدد الدخان .

لقد كان الله معنا ٠٠ أنار لنا الطريق وأعاننا على الأعداء ٠٠

* * *

كانت حرب السويس هي بداية التحول في تاريخ نضال الشعب المصرى وكانت الجرس الذي قرع منهي عصر الاستعمار ، ثم أنها كانت بداية الخطوات الثورية لتحرير ارادة الانسان المصرى الذي انتزع حريته السياسية ، وعليه أن يتأكد له تصيب عادل في ثروة بلاده ، وقد أورد جمال عبد الناصر نتائج حرب السويس في ميشاق الممل الوطني فقال:

- لقد رفع شعبنا حتى فى احلك الظروف شعار السلام _ لا الاستسلام _ ايماءة واضحة الى انه يقبل التعاون الدولى ، واكنه يقاوم السيطرة .
- ان الاستعمار في معركة السويس كشف نفسه ، وكشف قواعده ، وكشف أعوانه . . أن الاستعمار انقض على شعب مصر بالسلاح ، الآن الشعب المصرى حاول أن يحقق استقلاله ، ويبنى

تقدمه من أحد موارده الوطنية الذي طال استغلال الاستعمار له واحتكاره لكل عاده وقيمته .

ان الشعب المصرى باسترداد قناة السويس ضرب الاستعمار واحتكاراته في الصميم .

وأثبت صلابته بتحمله العنيد لتبعات اصراره ، الى حد قبول المعركة المسلحة في وجه قوى زاحفة جرارة .

ان الشعب المصرى بثباته الرائع ، وبقتاله الرير ضد الغزو ، استطاع أن يهز الضمير العالمي ويحركه بصورة لم يسبق لها مثيل في التطور الدولي .

و القد كان التحول الرائع في المعركة نقطة فاصلة في حركات التحرير ، ان الشعب المناضل الذي كان يواجه الطفاه الكبار وحده ، لم يعد وحيدا ، وانما انقلب الموقف راسا على عقب نتيجة للمقاومة الوطنية الباسلة . أن الذين تجمعوا ضد شعبنا ليعزلوه وجدوا انفسهم في عزلة عن الدنيا كلها ، بينما وقفت شعوب العالم كلها مع شعبنا شد من ازره ، وتلوح له بأيديها تحية وتضامنا معه .

ان الهزيمة التي منى بها الاستعمار في حرب السويس انهت عصر المفامرات الاستعمارية المسلحة ...

بفضل نضال شعبنا .

ثم ۱۰۰

● أن الشعب المصرى استطاع وسط مهرجان النصر العظيم أن يدرك أنه لم يحصل على الحرية في معركة السويس ، وأنما هو في معركة السويس استخلص ارادته لكي يصنع بها الحرية ثوريا ،

وكان النصر بداية العمل الحقيقي ٠

فالسؤال « الذى طرح نفسه تلقائيا غداة النصر العظيم في السويس هو: أن هذه الارادة الحرة التي استخلصها الشعب المصرى من قلب المعركة الرهيبة ؟

ان نهاية هذا العهد البغيض بالنسبة لكل شعوب العالم تحققت وكان الرد التاريخى الذى لا رد غيره ، هو أن هذه الارادة لا يمكن أن تكون لغير الشعب ، ولا يمكن أن تعمل لغير تحقيق أهدافه ، . أن الشعوب لاتستخلص ارادتها من قبضة الغاصب لكى تضعها في متاحف التاريخ وانما تستخلص الشعوب ارادتها وتدعمها بكل طاقاتها الوطنية لتجعل منها السلطة القسادرة على تحقيق مطالبها .

وبدأت خطوات عبد الناصر نحو التحول الاجتماعي بالتمصير وانشاء المؤسسة الاقتصادية . وأخيرا صدرت قرارات التأميم ، والقوانين الاشتراكية التي تحرد ارادة الملايين وتجعل لهم نصيبهم العادل في ثروة بلادهم ،

لِنف عاش عبدالناجر؟

التعبير العربى لرئيس الجمهورية (۱) هو الرئيس ، اى رئيس الجمهورية ، وهو اعلى لقب فى الدولة . ولكن فى اللغة العربية الدارجة فان هذه الكلمة باختلاف طفيف فى النطق تصبح « الريس » ويمكن لأى زوجة مصرية أن تسمى زوجها « الريس » فى غيبته وفى حضوره ٠٠٠٠

وعندما تتحدث عن جمال عبد الناصر زوجته السيدة تحية امام الفرباء فانها تشير اليه باسم السيد الرئيس ، ولكن امام بعض الأصدقاء الحميمين الآخرين لا تتحدث عنه باسم جمال ولكن باسم الريس فقط .

ويعيش الرئيس جمال عبد الناصر هو واسرته في منزل بمنشية البكرى لا تحيط به أية مظاهر تقريبا , وعندهم جنايني ومربية وطباخ وخادم مائدة للطابق الأعلى ، وهذا شيء عادى بالنسبة لعائلة متوسطة بها سبعة أفراد في مصر . وهناك خادمان آخران تدفع أجرهما الحكومة يخدمان في الحجرات التي يستعملها الرئيس في المهام الرسمية ، وعندما يسافر ناصر في الأعمسال الحكومية فانه يركب احدى الكاديلاك السوداوين الحكوميتين الموضوعتين تحت

⁽۱) المصدر كتاب « الرئيس » تلخيص وترجمة هيئة الاستعلامات وهو كتاب امريكي م

تصرفه ، وهو لا يستعملهما اطلاقا في الرحلات الشخصية . وكانت سيارته الأوستين السوداء قد أصابها العطب بعد الثورة بعامين ، وفي ذلك الوقت اشترى سيارة فورد في لون الفستق .

وعبد الناصر يتحاشى اماكن اللهو العامة . وهناك فوق فنسدق سميراميس « روف جاردن » يحوى اشجار النخيل المزروعة في الاصص وصناديق بها ورد وتسمع فيه موسيقى هادئة وقد يرى الجالس منظرا بهيجا للنيل . ويعتبر هذا المكان من اجمل الأماكن في القاهرة للاسترخاء في ليلة من ليالى الصيف الحارة ، وكان وكن منه محجوزا باستمرار للملك السابق . وبعد أن عزل فاروق بعدة سنوات اقيم حفل استقبال للأسقف مكاريوس هناك . ولما كان ناصر حريصا على اظهار احترامه لزعيم القومية القبرصية فانه تغاضى عن قاعدته في الا يتردد على مثل هله الأماكن مهما كانت هذه الظروف وقبل الدعوة . وعنسد وصوله وبينما كان يخطو خارجا من المصعد ويسير الى « الروف جاردن » صاح:

« للذا لم يقل لي أي فرد كيف أن الجو جميل هكذا هنا »؟ .

فقد كان المنظر بديماً ، وعبد الناصر ليس لديه وقت للترويح أو الفسحة أو الخروج بعيدا عن منزله ...

وناصر لا يلين في اصراره على ان يكون كبار موظفى الحكومة امناء ودوى ضمائر حية . فيمكنهم ان يضعوا في مكاتبهم وفي منازلهم ما يشاءون من التليفونات والأجراس على نفقتهم وكذلك يمكن ان تكون لديهم أجهزة تكييف الهواء والسيارات الكاديلاك التى يركبونها الى مقر أعمالهم ، وكذلك يمكنهم السفر الى الخارج في رحلات رسمية ولكن يجب أن تكون حساباتهم في البنوك مفتوحة التفتيش ويجب أن يتجنبوا التعرض للشك من اشتراكهم في أى نوع من الفساد الذي جعل شعب مصر يشعر بالمرارة من ساسة ما قبل

النسورة ، وكثيرا ما استغنى عن كبار الموظفين الذين نقضوا هذه القواعد .

وقد تم توسيع منزله فى منشية البكرى مرتين وذلك لأن عنده خمسة اولاد ولأن المنزل اصبح المكان الذى يقوم فيه بكل أعماله ويستقبل فيه زواره الرسميين وبعد هذه التوسعة التى قام بها الخبراء تجد أن المنزل ما زال لا يزيد فى مظهره عن منزل فى احدى الضواحى يقيم فيه نائب رئيس بنك صغير فى أى مكان فى أمريكا .

ويقوم بحراسة المنزل ليلا ونهارا ستة من الجنود في ملابس رسمية ، ويوجد في الداخل مساعدان في ملابس مدنية وهما يقومان بالخدمة اثناء كل ساعات عمله ، وهناك أيضا عدد من الحراس في ملابس مدنية لايظهرون الا نادرا .

ويدخل الزائر من البوابة فى فناء صغير . ويوجد فى ناحية اليسار ماعب تنس خاص والى اليمين يوجد مبنى جديد من الحجر يحوى ارشيف ناصر ومكتبة وتزين واجهة المنزل الرئيسى ثلثمائة السيدس من النباتات المزهرة فى ثلاثة صفوف على ارتفاعات مختلفة ، وتغير هذه الاصص بمجرد أن يقف ازدهار الورد .

وذاعت القصص بأن المنزل يسبح في ضوء فياض ، كوقاية لا متيال محتمل ولكن هذا ليس صحيحا ، وكل ما هناك هو ستة اعمدة من الخرسانة موضوع فوق كل منها ضوء للزينة ، وتستمر هذه الانوار مضاءة طول بقاء الضيوف ويستمر ذلك عادة حتى الثالثة أو الرابعة صباحا .

وتوجد خلف المنزل مساحة خضراء واسعة بها صفوف من الاشتجار وفى ركن بعيد تحت اكبر شجرة توجد عدة كراسى ومنضدة وقاعدة من الحجر ، وفى ذلك المكان غالبا ما يعمل ناصر فى أيام

الصيف المعتدلة والى جانبه تليفون منفصل يلحق بوصلة في القاعدة الحجرية .

وعند دخول الزائر الأجنبى يأخذ أحد الخدم الحكوميين قبعته اثناء سيره فى الصالة ويقتاده الى صالون يبلغ كل من طوله وعرضه نحو عشرين قدما وتوجد فى جانب بعيد من الحجرة مدفاة من الطوب الأحمر والرخام الأسود . ويوجد على رف المدفاة ثمان صور عليها توقيعات أصحابها وموضوعة فى براويز فضية ثقيلة . وهدفه الصور لرؤساء سابقين وحاليين بينهم شكرى القوتلى وسوكارنو ونهرو ، وهيلاسلاسى ، وتيتو ، وشواين لاى ، ورومولو وراجندا براسدا والى اليمين على «كومودينو » صغير فوقه رخامة وضع برواز به صورة لنكروما رئيس وزراء غانا السابق . وهى كبيرة جدا ولا تصلح للتثبيث فوق رف المدفأة ، وهؤلاء الرجال التسعة هم افضل الشخصيات السياسية فى العالم الخارجي النسبة لعبد الناصر . وتتدلى من الحائط فوق المدفأة صورة زيتية اطوالها اربعة وخمسة اقدام لطفلين من الضلاحين ومهداة اليه من الحكومة الأسبانية . ويتدلى من الحائط المقابل رسم تقليدى من الحكومة الأسبانية . ويتدلى من الحائط المقابل رسم تقليدى

والاثاث مرتب بدقة هندسية . فيوجد أمام المدفأة كرسيان كبيران مزخرفان كل في مواجهة الآخر وبينهما منضدة صغيرة للقهوة ، وفي هذا المكان يستقبل ناصر كبار الشخصيات الاجنبية من زواره في حديثهم الرسمى وفي الجانب المقابل من الحجرة يوجد طقم من الاثاث المدهب تقليد طراز لويس الرابع عشر ، يتكون من أديكة وستة من الكراسي مغطاة بقماش من البروكار الثقيل المطرئ بالورد ، وثلاث مناضد صعفيرة . ومنذ ثلاث سعنوات ثارت ثائرة

الرئيس من جراء مقالة في مجلة امريكية قالت ان هذا الأثاث المذهب مأخوذ من احد قصور فاروق لأن هذا غير صحيح على الاطلاق.

بل أن العكس هو الصحيح تماما فهو كرئيس للدولة من حقه أن يقيم في أحد القصور وأن ينقل منه ما يشاء من الأثاث الى منزله الذي تملكه الحكومة ، ولكنه دفع ثمن هذا الطقم المذهب من جيبه الخاص . وتتدلى من سقف الصالون نجفة كريستال كبيرة وهي مثل الأثاث المذهب رشيقة يمكن لكل ربة بيت من الطبقة المتوسطة في القاهرة أن تشترى لنفسها مثل هذه الأشياء ، وفرشت أرض الحجرة بسجادتين شرقيتين كبيرتين وسجادة صلاة ذات لون أزرق واحمر أمام المدفأة . أما الجدران فلونها رمادى فاتح والسقف أبيض . والشبابيك مفطأة بالستائر وهذا شيء عادى في مصر حتى في منازل البسطاء ، والمنزل كله مجهز بجهاز تدفئسة وتكييف هواء عام .

وفى الصالون يستقبل الرئيس السفراء والوزراء والمراسلين الاجانب والزوار الاجانب الآخسرين ، ويصحب بعضهم معهم مترجميهم الخصوصيين ، ويصل كثير منهم وهو يشعر بشعور من الشك الؤدب عن مضيفهم وعن آرائه ولكن سحره يأسرهم بوجه عام وتلتقط صوره هو وضيوفه دائما أمام المدفأة ، ولهذا اصبحت اللوحة الاسبانية احد الاعمال الفنية في العالم التي كثيرا ما تظهر في الصور .

وتطل نافذتان من صالون ناصر على غرفة أرضها مغطاة بالحجر ، بها منضدة « بنج بونج » .

ويوجد على آلارض الخضراء دراجتان من ذوى الثلاث عجلات للأطفال مقاوبتان على جنبيهما ومتجاورتان تدلان على أن صاحبهما قد اصعلدما وانقلبا منذ فترة وجيزة وتركا العجلتين وذهبا لتضميها جراحهما .

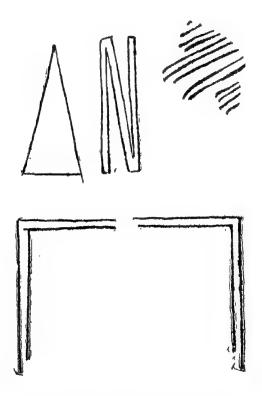
ويوجد مكتب ناصر في الطرف الآخر من الصالة المقابل للصالون وهده منطقة محرمة لا يسمح بدخولها للخدم أو الضيوف أو أفراد

المائلة أو حتى أصدقائه القربين ، والحائط البعيد من الطوب الزجاجي ، وأمام الحائط مكتب طوله سبعة أقدام وعليه أكوام من الخطابات والتقارير الحكومية والمجلات والصحف وكلها في نظام حسن الترتيب ، وعلى أحد أركان المكتب توجد كومة من المفكرات سجل فيها طوال هذه السنين انطباعاته عن الناس والاحسداث والمساكل . والى جانب المكتب توجد لوحة تحويل تليفون بها أحد مشر زرارا .. ويمكنه أن يتصل بعسامل التليفون أو بأهم الرجال في الدولة بأن يستدير نصف استدارة في كرسيه ويضغط على احد الأزرار . فاذا كانت مكاتبهم مفلقة دقت اجراس تليفوناتهم في منازلهم وعلى مقربة من المكتب أيضا توجد اربكة طولها سبعة اقدام وآلة تملية أمريكية وأقوى جهاز استقبال رادبو في مصر ومن بين الأشياء التي تزين المكتب ساعة سوسرية تبين الوقت في أى مكان من العالم ، وصورة مصنوعة من الصدف ، وهي التي رسم عنها جيرو أحــد أغلفة مجلة تايم في عام ١٩٥٥ . والي جانب المكتب توجد اريكة كبيرة وهو يجلس في هذا المكان عندما يجتمع برملائه القربين . وعلى مقربة منه توجد ثلاثة ازرار ، احدها لاستدعاء الخادم والثاني لاستدعاء سكرتيره اما الثالث فلا يعرف الغرض منه الا من أشخاص قلائل الى جانب ناصر نفسه ...

وكانت حجرات نوم العائلة في الأصل خلف الصالة والمكتب وعندما أضيف طابق ثان تحولت الى مكتبة وصالون للسيدات تستقبل فيه السيدة زوجته صديقاتها وحجرة طعام . ويوجد في حجرة نوم عبد الناصر العلوية تليفونات وجهاز راديو قوى ..

وهو يستيقظ في الساعة السابعة صباحا ، فيفتسل ويحلق ذقنه ويتناول افطاره وهو عبارة عن الشباى والجبنة البيضاء ، وسلطانية من اللبن وطبق من الفول المدمس وهو يستمر وقتا طويلا اثناء وجبة الافطار لأن هذا هو الوقت الذي يقرأ فيه الثلاث جرائد الصباحية التي تصدر في القاهرة لكي يعرف ما وقع من أمور .

غطوات التسالية ما بين حجرة الطعام والمكتب حيث ساعات اخرى يقرأ تقارير وزرائه وبرقيات سفرائه خريرى سكرتيره الخاص أنه يجب أن يعرض عليه والنساء حديثه في التليفون أن يرسم على النتيجة واذا فحصت أوراق النتيجة في السنوات الاربع لت أن رسوما معينة تتكرر مرة بعد أخرى :



لخطوط التي يرسمها جمال عبد الناصر عندما كان يتكلم في التليفون ، ، بخط يده

وفى فترة الصباح تكثر تنقلات مساعديه بين المكتب ومبئى السكرتيرية المكون من طابقين على الجانب الآخر من الطريق ، وهذا هو مقر سكرتيريه الخصوصيين ويعمل كل منهما مدة عشر ساعات وعلى ذلك فهناك ساعات قليلة قبل طلوع النهار لا يكون أحد منهم موجودا خلالها . ويساعدهم أربعة من المختزلين كلهم ذكور .،

وتصل الخطابات العادية من الخارج الى رئاسة الجمهورية ويصل من هذه الخطابات الفان او ثلاثة الاف خطاب يوميا معنونة باسم ناصر نفسه ، نصفها من الولايات المتحدة وكثير منها من الدول الشيوعية ويجيب على هذه الخطابات جهاز مكون من ٢٢ رجلا وامراتين تقدران على قراءة وكتابة اى لغة فى العالم تقريبا . ويرسل هذا الجهاز بالبريد أيضا نسخا من قصة حياة ناصر ونسخا مجانية من كتاب فلسفة الثورة وطوابع بريد لهواة جمع الطوابع ويرسل حتى تماثيل صغيرة لمن يطلبها من هواة جمع التماثيل ، والورق المستعمل فى الخطابات مختوم على احد الاركان بختم الدولة ويحمل فى اعلاه فى حروف عربية عبارة ((بسم الله الرحمن الرحيم)) ويختار المشرف من بين الرسائل الهامة لعرضها عليه كما يعرض عليه تلخيصا لكل الرسائل التى تصل ، وفى عام ١٩٥٩ يعرض عليه تلخيصا لكل الرسائل التى تصل ، وفى عام ١٩٥٩ كتبت له احدى المدرسات فى مصر العليا عن معركة تحتدم ببنها وبين رئيستها تقول:

«انها ترهقنى فى معظم الوقت لأنها تريد أن تتزوج ، ولى قريب رجل غير متزوج هو الآخر ، وقد طلبت منى الرئيسة أن أهيىء لها الأمر لكى يتزوجها ، وقد طلبت منه ذلك ولكنه لم يهتم ، وبسبب فشلى هذا نقلت الفصل الذى أدرس فيه الى ممر ضيق ، وهذا مهين جدا لى ، لذا فاننى أكتب اليك أيها الرئيس لكى تخف لنجدتى قبل أن يصيبنى الجنون » .

وعبد الناصر لا يملى خطاباته ابدا ولكنه يعطى سكرتيره فكرة عامة شفوية عما يريد قوله ، ثم يكتبها السكرتير بعد ذلك في لهجسة المخاطب ويعرضها عليه لتعديلها كما يريد أو أقرارها مع

وفى الظهر عند الغداء . فى الساعة الثانية والنصف تقريبا وهى الساعة التى تستطيع السيدة زوجته أن تجلس فيها معه ، فالتليفونات من الخارج ممنوعة والمنزل خال الا من الخدم وتتكون وجبة الغداء من الخضر والجبن ونادرا ما يوجد اللحم . واذا تلكآ فى غذائهما مدة طويلة فان الاولاد يجيئون من المدرسة الى المنزل جريا ويحيون والدهم قبل خروجهم للعب .

وبعد الغداء يقرأ ناصر كومة من الجرائد اليومية التى تأتى من مدن العالم العربى والخارجى ، وربما يستمر ذلك ساعتين ، ثم ينام بعدها حتى الخامسة مساء ، وعندها يبدأ عمله الحقيقى ، فهو فى خلال الثمانى ـ أو التسع ساعات التالية يعقد الاجتماع تلو الآخر مع وزرائه ومع الدبلوماسيين الذين يعملون فى القاهرة واحسن خطب عبد الناصر هى التى يلقيها ارتجالا ، ولكنه يعرف أن كل كلمة من الخطبالتى يلقيها يتولاها اعداؤه السياسيون فى الداخل والخارج بالقراءة والتمحيص ، ولذا فهو يتكلم عادة من اصل مكتوب .

يتكدس مثات الآلاف من الرجال والنساء في ميدان شعبى ويقفون ساعات ثلاث تحت الشمس الحارقة يستمعون اليه م والحقيقة هي أنه كمصرى ، أي كواحد منهم ، ويقدر على ريط كثير من الكلمات بعضها مع بعض ، والناس ينظرون اكثر مما يستمعون وهو الرآة التي يرون فيها انعكاس صورتهم انعكاس انفسهم في الوضع الذي يتمنونه لانفسهم وكثير منهم تثن اجسامهم من التعب ، أما هو فمرفوع القامة قوى الجسم ، عيناه لامعتان وسليمتان ، وجيه وحسن الملبس مشل معظم الاجانب الذين يهبطون من الطائرات وهم لا يتمتعون بأي نفوذ ، أما الرئيس فيمكنه ان يدخل الرعب على الاوغاد الاجانب كما أن الموك ورؤسساء الوزراء يقطعون آلاف الاميال ليروه وهو رمز لمصر الحديثة التي الوزراء يقطعون آلاف الاميال ليروه وهو رمز لمصر الحديثة التي

ولم يفقد ناصر طموحه الاديم الذي كان يشمر به عندما كان

غلامًا وفي جلسة مع احد المؤلفين قال له: « انني احسدك اكثر مما تتصور ، اننى املك خمسة وعشرين نوتة مذكرات مليئة بالانطباعات عما قراته وسمعته ورايته ولكنى مشفول جدا لدرجة لا تمكنني من الاستفادة من كل هذه المواد ، وأود لو انني حظيت بشهر من الوقت ليس أمامي فيه عمل الا أن اكتب ، وأحيانًا يخضع أمام ميوله الأدبية بطريقة غريبة ، وذات مرة ارسلت له وزارة الخارجية مذكرة روتينية في خمسة عشر سطرا وعندما أعيدت المذكرة كانت تحوى تعليقا مكتوبا بخط يده في اسفل السطور الخمسة عشر وعلى هامش الورقة وفي ظهرها في اسلوب عربي أدبي سليم . وطلب منه احد الامريكيين ذات مرة أن يذكر أسماء أعظم شخصيات في كل العصور ، فتردد ناصر نم أجاب: ((انثى أنظر الى لنكوان على انه رجل عظيم وكذلك جورج واشنطن الذى قرأت عنه أخرا فقط ، وقرأت عن لينين واننى اعتبره رجـــــ لا عظيما أيضًا ، وكذلك غاندي ، وكمال اتاتورك الذي جاهد ضد البريطانيين كان شخصية هامة حقا ، لقد أثر في اتاتورك ولكنه شنق عددا كبيرا جدا من اصدقائه وبالطبع لا بد ان تضم القائمة المسيح ومحمد)) ولو انه كان يملى هذه القائمة على أى شخص آخر غير الشخص الامريكي لاختلفت هــده الاسـماء عما هي ، لانه يتمتع بالرغبة الموجودة عند كثير من المصريين وهي الرغبة في اعطاء السبائل الاجابة التي بيدو أن هذا السائل يريدها .

وهو يلتقط من كل الأفلام التى يشاهدها والقراءات الدورية الكثيرة جدا التى يقرؤها والتشكيلية من الناس الذين يراهم . يلتقط قدرا عظيما من المعلومات ويقدر على تصنيفها وفهرستها وحفظها ـ بطريقة الرجل العسكرى الدقيق 4 والمنظم . . .

وهو يهتم اهتماما ضئيلا بمناقشة المسائل الفنية أو العقليسة البحتة مع انه اجاب على سؤال ذات مرة عن الدين بأن قال: (لقد رفضت في شبابي أن أكون مسلما اجرد أن والدى كان مسلما ، وعندما كنت صغيرا حاولت أن اسال الاسئلة وفي عام

1957 شعرت اننى عرفت كل الاجابات • اننى لا اعتقد في الظاهر الخارجية للدين ولكننى اعتقد في شيء عميق في قلبى • وانني اجد استحالة في تقرير الصحة او الخطا دون الرجوع الى الدين • ولكننى اعتقد ان كل الديانات واحدة في جوهرها)) •

وهذه المعانى نفسها هى التى اوردها فى ميثاق العمل الوطنى حول الدين .

وفى المساعة التاسعة من مساء كل يوم يصل رسول من القاهرة يحمل النسخة الأولى من جريدة يحررها ويصدرها جهاز من الكتاب والمحردين والباحثين فى مصلحة الاستعلامات ، لناصر ومساعديه الكبار ، يطبع منها عدد محدود من النسخ ثم توزع ومكتوبا على كل نسخة بأحرف كبيرة عبارة «سرى جدا » .

ويقرا الوزراء وكبار الوظفين هذه النشرة لانها تحتوى على الهجمات الموجهة ضد نظام الحكم من اى مكان فى العالم . فى الأربع والعشرين ساعة السالفة . وتخصص الثلاث صفحات الأولى من العدد العددي لمقتطفات عن مصر من المقالات والافتتاحيات المنشورة فى صحف العالم ، وتخصص الصفحة الرابعة دائما للأنباء والتعليقات الخاصة باسرائيل ، والخامسة للسودان ، والسادسة لآسيا ، والسابعة للحرب الباردة بين الشرق والغرب والصفحتان الثامنة والتاسعة للحرب الباردة بين الشرق والغرب اما الصفحة العاشرة فتحوى ملخصا لكتاب جديد ، والى جانب اما الصفحة العاشرة فتحوى ملخصا لكتاب جديد ، والى جانب هذا الملخص اليومى تعد مصلحة الاستعلامات ملخصا فى عشرين صفحة لكل كتاب ينشر بأى لغة هامة وتعتبره المصلحة هاما ، ويرسل لعبد الناصر واحد على الأقل من هذه الملخصات يوميا .

وتصله كومة من رسائل الأخبار الحديثة من ماكينات المطبعة مرتبن يوميا واذا وصل تقرير له اهمية خاصة بالنسبة لمصر يرسل اليه مباشرة بصرف النظر عما يفعله وعندما تصل الى مساعدية وسالة له فانهم لا يتهامسون بها بل تكتب دائما على قطعة صغيرة من الورق وتسلم اليه دون تعليق .

وبعد أن ينصرف آخر ضيف ، وبعد أن يكون قد قرأ آخر تقرير - وأجاب على كل مكالمة تليفونية فأنه يذهب الى حجرة نومه ، وذراعه محمل بالجرائد والمجلات الأمريكية والبريطانية والأوروبية والعربية ، ويخلع ملابسه ويدير جهاز الراديو المجاور لسرير ويقضى الساعة أو الساعتين التاليتين في القراءة ،

وهو يقول: ((أن معظم ما في الصحف تكرار لما اقرؤه في الملخص ولكن أحب أن اراه في الأصل اننى اعتبر قراءة الملخص واجبة ولكن قراءة الجرائد والمجلات متعة وهذه هي هوايتي الحقيقية واحيانا أدى في الجرائد أشياء لم ترد في الملخص تقصص غير هامة ولكنها تهمني واذا لم أقرأ الجرائد نفسها فان أعرف شيئا عن صائد الطيور البريطاني ، أن مثل هذه القصص تربطني بالعالم وانني استمتع ببعض المجلات ، من أجل الاعلانات وأحب الصور الهرلية والصور في بعض المجلات الأخرى ،

وينتقده بعض معارضيه فيما بينهم لانه يقرأ كثيرا جدا .. ففى بعض الأيام يقضى خمس أو ست سساعات يقلب صفحات الدوريات ، وهم يشعرون أنه يمكن أن يستفيد من وقته أكثر من ذلك . كما أنه يأخذ معه إلى حجرة نومه مجموعة من برقيات الراسلين الأجانب التى ارسلوها ألى جرائدهم خلل السوم ، وهو يقرؤها بدقة ، وهو حماسى أكثر مما تشير التعليقات التى تذكر عن الطريقة التى يعالج بها مهامه ؟ ..

ومنذ أن أصبح جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية لم يترك له منصبه الا وقتا قصيرا للرياضة والترفية . ونتيجة لذلك زاد وزنه وهو حساس من هذه الناحية . وقد سأله أحد زواره عن وزنه فأجاب : « اننى أزن الآن ٨٠ كيلو » ولكنه أضاف بسرعة « ولكن تذكر أن طولى ١٨٢ سم » .

ومنذ أن استأصل الزائدة الدودية والآلام الجسمانية الوحيدة التى يعانيها هى هجمات آلام الناسور من جراء الغبان والرمال الصحراوية في الجو ، وتسبب له هذه الآلام صداعا لا يحتمل مما

يعظيم احسماسا بالكآبة التي تختفي فقط عندما تنتهي آلام الناسور .

ولا يزال الشطرنج لعبته الداخلية المفضلة وقد علمه لابنتيسه الكبيرتين وابنسه الأكبر ، ولكنسه وجد ان مشسساهدة الافلام يريح أعصابه أكثر من أى شيء آخر ، وحتى قيام الثورة ، كان يأخذ السيدة قرينته إلى السينما مرة أو مرتين كل أسبوع ثم كف عن ذلك أذ اشترى آلة عرض سينمائية وأقام شاشة في ملعب التنس ، وأحيانا اثناء فترات الأزمة يشاهد فيلمين أو ثلاثة في سهرة واحدة لكي تبعد عنه التفكير في مشكلته وقد سئل مرة عما أذا كان قد ظبق مبدأ ناصر للحياد الإيجابي على انتقاء الإفلام فأجاب :

« أذا فعلت ذلك لكان على أن ارى الأفلام الرديثة والافلام الطيبة واننى لا أهتم بالأفلام الرديثة ، أن ما أحبه هي الأفلام البجيدة فقط ، أننى لا أحب الدراما والأفلام الثقيلة .

وفى يوم الجمعة ، وهو يوم الأجازة ، لا يذهب اولاد عبد الناصر الى المدرسة ولذا يمكنهم أن يسهروا ساعتين فى ليلة الخميس لكى يشاهدوا أحد الأفلام ، وجرت عادة العائلة أن يسمح لهم باختياره ولكن والدهم يقول: « أن دوقهم لا يمائل دوقى فهم يحبون أفلاما أعنف من الأفلام التى أحبها ، وخصوصا أفلام الحرب ، ولذا فيهد أن يذهبوا ألى تومهم فاتنى عادة أضع الفيلم الذى أريده » .،

وهن يهتم كثيرا باللابس، وحتى أيام أن كان في الجيش، كان طبس الملابس المدنية كثيرا بقدر استطاعته . ولكن سرعان مايكتشف من يعرفه أنه لا يملك دولابا ممتلئا بالملابس ..

 (لقد جرت سیاستی دائما علی آن اشتری بداة جدیدة یفصلها لی ترزی بالقاهرة کل عام ولکننی اغفلت عام ۱۹۵۵ فلم اشتر فیه شیئا)) .

ونقطة الضعف عنده هي حبه لاقتناء أربطة الرقبة ، ولما كان معظم اصدقائه يعرفون عنه ذلك فانه يتسلم هدايا منها .

ورباط الرقبة المثالى بالنسبة له يجب أن تكون به خطوط واسعة ذات الوان مختلفة يجب أن يكون اتجاه هذه الخطوط عندما ينظر اليها في المرآة من الشمال الى اليمين . وهو يعطى مالاً يعجبه منها لاخوته ومساعديه .

ولم يسبق له أن أحصى عدد أربطة الرقبة التي يملكها ، وقد جاءته هدايا تتراوح بين طائرات ببلغ ثمنها نصف مليون جنيه وكتب موقعة بأسماء مؤلفيها ووزعها كلها ، أو سلمها للدولة ولكنه يحتفظ بالهدية أذا كانت رباط رقبة مخططا في اتجاه اليمين . وهو لا يملك ملابس للسهرة لأنه يشاعر أن مثل هاده الملابس لا تتناسب مع مصر الحديثة .

وهو يقول أن الألوان المفضلة بالنسبة له هى الازرق والرمادى الفساتح ومجموعة الألوان التى يلبسها تؤيد قوله بأن ((الألوان في الواقع لاتهمني)) وأربطة الرقبة التى يملكها ذات الوان زاهيسة ولكن جواربه ومناديله وقمصانه وحلله لا تكون مجموعة متالفسة يظن أنها جاءت بعد تفكير في انتقائها .

وكثيرا ما وصف نفسه بأنه « رجل يحب الاسرة » واسعد اوقاته هي التي يذهب فيها هو والسيدة قرينته والاولاد وواحد او اثنان من مساعديه الى القناطر التي تبعد عن القساهرة ثلاثة عشر ميلا أسفل النيل . وقد بنت الحكومة في هذا المكان استراحة مكونة من ثلاثة طوابق في ايام فاروق ، واستعملها رؤساء الوزراء عدة سنوات ويذهب اليها ناصر واسرته لقضاء عدة إيام . ويسمح

هذا لناصر وعائلته بأن يعيشسوا حياة عادية من حياة الطبقة المتوسطة . وحين يعرف أن عبد الناصر قد ذهب الى القناطر فان كل فرد يعرف أنه أصبح نهبا للتعب أو أن أزمة تبدو في الأفق وهو يشك في أنها ستتطلب منه أن يبذل جهدا عصبيا فائقا وهو لذلك يستعد لها .

ومع انه يرى اولاده اقل مما يرى معظم الآباء اولادهم فانه يفخر بهم كاحسن ما يفخر اب بأبنائه ـ وهو يصر على أن يتعلموا الحديث بالفرنسية وقراءتها الى جانب الانجليزية والعربية وليس له طموح معين بالنسبة لابنائه .

فهو يقول: ((يجب أن نسده للأولاد باختيار مهنتهم ، فاحد الأولاد يفكر الآن في أن يكون طيارا والآخر ضابطا بالحربية)) .

ومع ان احدا من الطفلين ليس له اهتمام بالسياسة الا ان خالد غالبا ما يدور حول المنزل متظاهرا بأنه يلقى خطابا عاما مقلدا اساليب والده الخطابية .

وقد عرفت السيدة قرينته بانها زوجة غير معروفة لدى الشعب من بين زوجات جميع رؤساء دول العالم ، وهدا هو ما يريده لها زوجها ، وفى خلال السنوات التى تلت الثورة لم تعقد مؤتمرا صحفيا ، ولم تعط صورها للجرائد ولم تحضر اى حفلة رسمية ، ولم تقابل أى زائر من زوار زوجها ، ولم تبرح الدولة وحينما تذهب لشراء حاجياتها لا يكاد أى شخص يعرفها ، وينحصر نشاطها الاجتماعى فى دائرة زوجات الوزراء ، ولم يسبق وينحصر نشاطها الاجتماعى فى دائرة نوجات الوزراء ، ولم يسبق

والرؤساء واولياء العرش والزوار الأجانب ذوى الأهمية فانه يفعل ذلك فى قصر القبة ، ولكن قلما تحضر السيدة تحية حتى هذه المناسبات ، ولكنها بين حين وحين تقيم حفلات عشاء غير رسمية فى منشية البكرى لأصدقاء زوجها المقربين .

ويهتم عبد الناصر بالموسيقى ، وقد بدأ شغفه بها حينما كان يعيش فى الاسكندرية مع جده وجدته ، وكان فى بيتهم جراموفون ، وفى حين كان ينصت الى تسجيلاتهم عرف صوت امراة شابة تدعى ام كلثوم التى كانت تردد اغانى مصرية بطريقة جهورية حوادات السيدة تحية قرينته التى تعزف البيانو أن تقوده بالتدريج من النفمات الاجنبية الخفيفة الى الموسيقى الكلاسيك بل اقنعته بان يبدأ بجمع التسجيلات الجديدة ولكنها لم تتمكن والآن اذا سألته من احب الملحنين بالنسبة لك لاجاب انهما رحمانينوف وشوبان ولكن ام كلثوم مازالت تغنى لمدة ثلاث ساعات كل ليلة خميس من أول الشهر فى مسرح من مسارح القاهرة وتداع حفلتها من راديو القاهرة ، وخلال هذه الساعات الثلاث تفتح معظم أجهزة الراديو فى العالم العربى ، فى القصور ، وفى الشقق وفى الآكواخ المبنية من الطين ، لسماع أم كلثوم ويكون الرئيس بين مستمعيها كلما سمحت له ظروفه .

وفى احدى السهرات فى عام ١٩٥٩ ازدحمت صالة فسدق هيلتون لعدة ساعات بأناس سمعوا انه من المقرر مجىء الرئيس عبد الناصر لحضور حفلة يوم الجيش ، ولكنه لم يظهر . وعرف

بعدها أنه كان يسمع أم كلثوم بل أن أم كلثوم منحت ميدالية من الجيش حسب قراره .

وحین بسال فی ای وقت ان بذکر اسم احب مؤلف امریکی هنده فانه بجیب انه ((مارك توین)) .

ولم يكن لديه وقت كثير في السنوات الاخيرة لكى يقرأ شسينًا آخر ، ما عدا الدوريات والتقارير الحكومية ولكن اهتمامه بالادب في ايام شبابه انحصر في كتاب «كيف تكسب الاصدقاء وتؤثر في الناس » الذي الفه «كارنيجي » و « الحرب والاحوال النفسية في وقت السلم » الذي الفه «براون » .

وحينما كان عمر اكبر ابنائه ، خالد ، سنت سنوات ، نشرت احدى صحف لندن صورة امراة بريطانية ادعت انها خطيبة ابن ناصر ، وسأل احد مراسلى الصحف البريطانيين الرئيس فيما بعد عما اذا كان قد غضب من ذلك ، فأجابه بضحك ، لا ابدا لقد كنت انظر الى صورة السيدة الشابة وأنا أشعر بالفيرة من خالد ،

بعد وقت قصير من قيام الثورة ، عين أستاذ ، مدرس بجامعة الاسكندرية وكيلا لوزارة الارشاد القومي ، وانتشرت الشائعات في المقاهى ان هذا الاختيار وقع لأنه « زوج أخت ناصر » وفي أثناء أحد المؤتمرات الصحفية القليلة التي يعقدها ناصر سأله الصحفيون المصريون في هذا الشأن وراوغهم في الإجابة لمدة ساعة ، وأخيرا قال وهو يبتسم :

- ولكنى أود أن اختم حديثى بأن أقول لكم أنه ليس لى اخوات .

وهو يعارض بشدة محاباة كبار الوظفين لاقربائهم ، وقد كان ذلك عادة اكثر من كونه جريمة في وقت ما قبل الثورة ، وهو يصر على انزال العقوبة الصارمة باى شخص يفعل ذلك ،

ومند عدة سنوات تحدث تليفونيا مع صاحب احدى الصحف اليوميسة وسأله « الا ترى الصفحة الآخيرة » واجابه نعم ، هل تقصد سيادتك صورة والدك ، ما هو الخطسا في ذلك ؟ فأجابه عبد الناصر في تصميم « اننى لا أحب أن تنشر أخبسار أبي بين الناس ، واننى أخاف أن يركب ذلك رأسه أننى أريد أن يعيش أبي واخوتي مثل الناس العاديين ، ولا أريد أن يفسدهم منصبي » ..

ومنذ ذلك الوقت ، قليلا ما ظهرت صور اقربائه في الصحف.

وبعد الثورة بعدة اسابيع حكى لاحد أصدقائه قصة لم تنشر، ان امراة فرنسية غنية في الاسكندرية كانت في ورطة لانها خالفت قواعد احد مكاتب الحكومة وطلبت من خال جمال عبد الناصر ان يتوسط لها ، وعندما فعل ذلك ، اتصل رئيس هذا المكتب الحكومي بعبد الناصر إمام قوار صعب ، لقد كانت مشاعره بالنسبة الأمه ما زالت قوية ، وهذا هو اخوها ولكنه اصدر اوامره بالقاء القيض على خاله وايداعه السجن ال

ولا يشعر عبد الناصر نفسه بالراحة وهو بين جماعة من الفرباء وهدا هو احد الأسباب التي تجعله يبتعد عن أي شكل من اشكال الحياة الاجتماعية ويقضى معظم وقته بين الجدران الأربعة في منزله في منشية البكرى وهو يتحدث مع اشخاص من أمثال نهرو وتيتو وشواين لاى ، حديث الند للند ولكن حين يتحسدث مع « نصف دسستة » من الأوربيين ، حتى لو كانوا ملازمين أوائل في الجيش البريطاني أو مجرد تجار للصواميل ومسامير القلاووظ ، فانه يتخلا موقفا دفاعيا قلقا .

فهرسس

صفحة								
٥	*****	*****	*****	*****	*****	****	••••	عكاية هسدا الكتاب
11	****	••••	****	*****	****	*****	*****	مكاية بطـــل
44	*****	*****	****	*****	*****	•••••	راعى	عكاية الاصـــــــــــــــــــــــــــــــــــ
٥٧		*****	*****	*****	••••	51884		حكاية صفقة الأسلحة
۸۱	****	11111	*****	*****	*****	****	4844	حكاية تأميم القناة
4.4	****	14***	*****	****	****	49469	*****	حكاية العدوان الثلاثى
149	*****	*****	****	*****	****	****	****	حكاية انسيان يبي

تم ايداع هذا الكتاب بدار الكتب تحت رقم ١٩٧١/٥٢٠٠٠



Control Organization of the Alexandria Library (GOAL





● هذا الكتاب يجيب على العديد من الأسئلة المطروحة حول عبد الناصر

* ويروى العديد من الحكايات والاسرار التي لم يكشف الستار عنها حتى الآن • ويقدم لنا (خلفية) العديد من القرارات التي هزت العالم مثل قرار تأميم قناة السويس وصفقة الاسلحة مع تشيكوسلوفاكيا وحرب السويس وغيرها من الاحداث الهامة •

● وأيا كان التقييم النهائى لهذه المرحلة ، فان هذا الكتاب • • • يجب أن يقرراً!! خصوصا وأنه بقلم عبد الله امام الذى كرس جهده كاملا لتوضيح هذه المرحلة • •